المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة طيبة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الانتصار و الانكسار
في شعر أبي فراس الحمداني

رسالة مقدمة لاستكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية
تخصص (الأدب والبلاغة).

إعداد

خلود عبد العزيز صالح الصبيحي

الرقم الجامعي :3280257

إشراف

د. إبراهيم سعد قنديل

أستاذ الأدب العربي والنقد المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة

1436هـ-2015م.

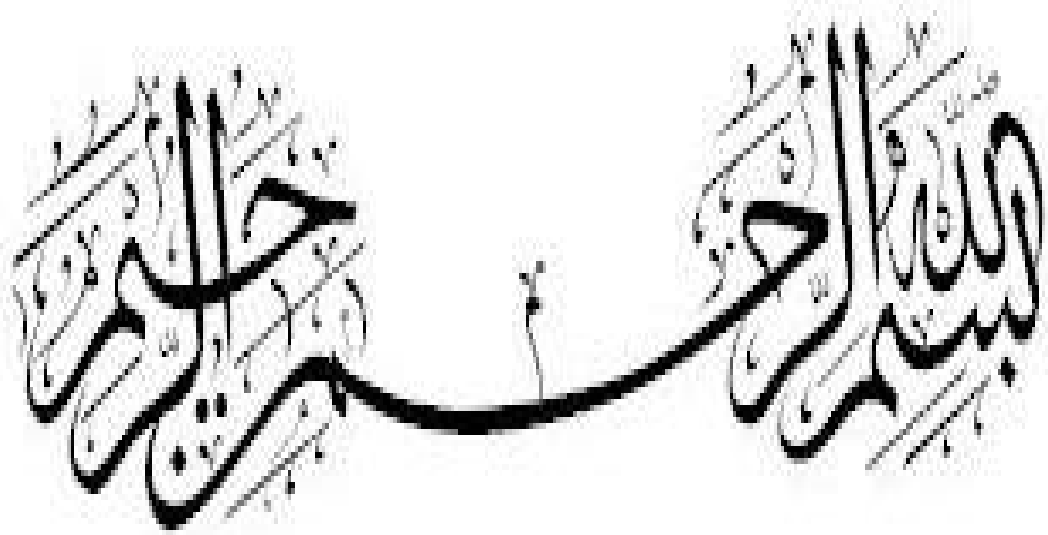
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوعات	رقم الصفحة
إهداء	هـ
شكر وتقدير	و
المستخلص باللغة العربية	ز
المقدمة	1
التمهيد	6
الفصل الأول : من صور الانتصار في شعر أبي فراس الحمداني	12
المبحث الأول : الفخر بالقبيلة	14
المبحث الثاني : الفخر بالفروسية	28
المبحث الثالث : الفخر بتعدد انتصاراته وكثرة مواقعه الحربية	39
الفصل الثاني : من صور الانكسار في شعر أبي فراس الحمداني	53
المبحث الأول : عتاب الشاعر لابن عمه سيف الدولة	57
المبحث الثاني : رسائل الشاعر لأمه العجوز من خلال شعره	70
المبحث الثالث : تذكر الشاعر لمجده السابق من خلال شعره	79

الفصل الثالث : عناصر الإبداع الفني في شعر أبي فراس الحمداني	87
المبحث الأول : المعجم الشعري	89
المبحث الثاني : الصورة الشعرية	102
أ .مصادر الصورة	105
ب .وسائل تشكيل الصورة	112
المبحث الثالث : الموسيقى	124
أ .الموسيقى الخارجية (الأوزان – القوافي)	125
ب .الموسيقى الداخلية (التكرار – المحسنات البديعية)	138
الخاتمة	148
فهرس المصادر والمراجع	150
المستخلص باللغة الإنجليزية	159

إهداء

إلى والديّ الغاليين اللَّذيْن تواصلا معي بدعواتهما ...

إلى زوجي الحبيب وأستاذي ومعلمي الذي ساندني حتى أواصل مسيرتي العلمية ...

إلى النور الذي أضاء حياتي، نورَي عمري ابنـتيَّ"نورة وأنوار".

إلى أخواتي وإخوتي ...

إلى أهل زوجي...

إلى كل من يهمه أمر لغة القرآن...

أهدي دراستي المتواضعة هذه ...

شكر وتقدير

عرفانا مني بالفضل أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور الفاضل: إبراهيم قنديل الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، ومساعدته لي فكان لي نعم المرشد في اختيار الموضوع، وأعطاني من وقته وجهده الكثير، فجزاه الله كل خير، كما وأتقدم بالشكر لعضوي لجنة المناقشة على قراءة هذا البحث المتواضع فجزاهما الله خير الجزاء.

المستخلص

الانتـصار والانكسار في شعرِ أبي فراس الحمداني.

البريد الإلكتروني: k-mast@hotmail.com إعداد: خلود بنت عبدالعزيز الصبيحي.

يتخذ هذا البحث من صور الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني ميداناً له؛ ليكشف عن الصورتين من الناحية الموضوعية والخصائص الفنية.

وقـد اتضـح لي مـن خـلال البحـث تنـوُّع صـور الانتصـار والانكسـار لـدى أبي فـراس الحمداني،فتتنوع صور الانتصار:كفخره (بقبيلته) و(بفروسيته) و(تعدد انتصاراته وكثرة مواقعه الحربية)، وكذلك تنوُّع صور الانكسار :(كعتاب الشاعر لابن عمه سيف الدولة)، و (رسائله لأمه العجوز من خلال شعره) و(وتذكر الشاعر لمجده السابق).

وقد استطاع الشاعر أن يجسِّد الصورتين في شعره ،على الرغم من أن الصورتين لم تكونا على وتيرة واحده، ولجوء الشاعر بتجسيد صور الانتصار والفخر معبراً عن ذلك بعدة صور، وكذلك تجسيد صور الانكسار و معاناته مع الأسر وما يدور في نفسه بصور عدة .

أما عن الخصائص الفنية التي تميَّز بها الشاعر في شعره، فقد امتاز معجمه الشعري بالسهولة وكذلك بالإيماءات الشعورية ذات الألفاظ المتباينة؛ لتباين صوره بين انتصار وانكسار لكننا نجد الجزالة والقوه في كلتا الصورتين مع سيطرة نبرة الحزن على صور الانكسار.

كما اعتمد الشاعر على التصوير في التعبير عن تجاربه وصور انتصاره وانكساره ، متكئاً على أهم وسائل تشكيل الصورة :كالتشبيه والتشخيص، إضافة إلى أن تلك الصور ترسم لنا لوحات تنم عن قدرته في التعبير عن تجاربه .

كما يتضح من خلال البحث تميز موسيقى أبي فراس الحمداني وقدرته على تلوينها مع تلون الصور والأحداث،سواء أكان ذلك في الموسيقى الخارجية أم في الموسيقى الداخلية ، مما يشير إلى أن أبيات الشاعر جاءت ذات أثر قوي ومؤثر في النفوس .

المقدمة

الحمد الله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام دائبين على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد :

فإنَّ هذا البحث يُعْنى بدراسة الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني، والناظر في الدراسات التي تناولت شعر هذا الشاعر، يجدها قد تناولت شعره تناولاً تاريخياً أو أسلوبياً أو وصفياً، مما يحتاج معه إلى توجيه الدراسة له بشكلٍ أكثر تحديدًا.

وتأتي هذه الدراسة لتسدّ نقصا في الدراسات السابقة، إذ إنها تحاول أن تتتبع صوراً من الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني عبر مراحل حياته المختلفة قبل الأسر وبعده من خلال شعره، وأود أن أوضح بأن الانكسار الذي شكل مع الانتصار في عنوان البحث ثنائية متضادة،لم يكن انكساراً بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل كان إحساساً بانتصارات قديمه شابه شيئاً من الحزن والألم معبراً عنه في عدة صور، كما يوضح البحث مدى إدراك الشاعر وتجسيده لأحاسيسه ومشاعره –على الرغم من تغير الأحوال والأحداث التي عاشها–من خلال توظيفها في شعره، وبهذا سأحاول التركيز والجمع بين تلك الثنائية والوقوف على بعض صورها؛ ليتبين عظم الموقف والرجل .

ولقد دعاني غير سبب لدراسة هذا الموضوع، تتلخص فيما يلي:

1– مكانة الشاعر الأدبية المشهودة، وصدق تجربته وحمله لأحاسيس قوية عدّة تحمل الكثير من الانتصارات والمعاناة.

2– ما يتميز به الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني من توهج ذاتي، ومدى وضوح تلك الثنائية في شعره.

3-ثراء التجارب والمواقف التي ساقته إلى نظم الأشعار بين انتصار وانكسار، وتعدد صورها مع جودتها، مما يحتاج إلى دراسة.

وتتخذ الدّراسة من (ديوان أبي فراس الحمداني) برواية أبي عبد الله بن خالوية، تحقيق سامي الدهان، محورًا ومصدراً أساسيًا لها؛ لأنها تعد موثوقة برواية معاصره،كما كانت له صلة وثيقة بالشاعر.

وقد أفدتُ في هذه الدراسة من المراجع التي لها علاقة بموضوع البحث، وكذلك من الكتب التي تناولت الشاعر بشكلٍ خاص، مع مراعاة الجدّة والإضافة ما استطعت.

أما منهجي في هذه الدّراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي، حاولتُ من خلاله رصد بعض من صور الانتصار والانكسار، ثمّ تحليل بعض منها تحليلًا فنيًا من خلال دراسة المعجم الشعري، والصورة، والموسيقى .

وقد تناولت في هذا البحث دراسة الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني، ومهدت لهذه الدراسة بتمهيد، تناولت في الجزء الأول منه: التعريف بالشاعر من خلال نبذة موجزة عن مولده ونشأته، ثم تناولت في الجزء الثاني من التمهيد:مفهوم الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني، وقد حاولت من خلال رحلة حياته الحافلة استخلاص العوامل التي أحسب أنها وراء الانتصار والانكسار في شعره.

ثم يأتي صلب البحث في ثلاثة فصول، تناولت في الأول منها:(من صور الانتصار في شعر أبي فراس الحمداني)، وقد جاء في ثلاثة مباحث:

جاء المبحث الأول مسلطًا الضوء على (الفخر بالقبيلة)، وتناولت فيه الخطوط العريضة لسمات هذا الموضوع، حيث عبر أبو فراس عن مشاعره تجاه قبيلته التي تملك ماضياً مشرقاً و مناقب أجداد وآباء.

ثم يأتي المبحث الثاني(الفخر بفروسيته) ليدرس افتنانه الشديد بالإقدام والصولات والجولات مجسداً بذلك فروسيته معبراً من خلالها عن فخره بها .

وفي المبحث الثالث(الفخر بتعداد انتصاراته وكثرة مواقعه الحربية)فذكرت المواقع التي كانت لها مكانة عنده،وكانت شاهدة له على انتصاراته.

أما في الفصل الثاني: (من صور الانكسار في شعر أبي فراس الحمداني)، فذكرت أن تلك الصور عبر عنها الشاعر وهو في أسره، لكن ليس كل ما كان في أسره يعد انكساراً على الرغم من سيطرة نبرة الحزن والألم على تلك الصور،وجاء الفصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:(عتاب الشاعر لابن عمه سيف الدولة)، وذكرت فيه تعدد صور ومواضع عتاب الشاعر لابن عمه سيف الدولة .

المبحث الثاني:(رسائل الشاعر لأمه العجوز من خلال شعره)، فتحدثت فيه عن هذه الرسائل المختلفة والمتنوعة، التي تنم عن إحساسات صادقة .

المبحث الثالث:(تذكر الشاعر لمجده السابق من خلال شعره) وذكرت فيه عدة مواقف وأمجاد عاشها الشاعر، وعبّر عنها في شعره؛ ليخفف من لوعة أسره.

أما الفصل الثالث: فقد جاء حول (عناصر الإبداع الفني في شعر أبي فراس الحمداني) التي تميز بها في صوره السابقة، من خلال المعجم الشعري في المبحث الأول، الذي تجلّت فيه ملامح صور الانتصار والانكسار، كشيوع الألفاظ الغنية بالدلالات الشعورية والإيحائية التي ظهرت نتيجة استغراق الشاعر في التعبير عن تجربته الشعرية، إضافة إلى غنى معجمه الشعري بألفاظ الحرب والألفاظ الدالة على أسره، كما شاعت الألفاظ السهلة القريبة لفهم المتلقي في معجمه أيضاً.

وجاء المبحث الثاني متناولاً: (الصورة الشعرية) من عدة جوانب، ففي الجانب الأول من دراسة الصورة تناولت أبرز(مصادر الصورة) التي يستقي منها الشاعر صوره، وفي الجانب الثاني من دراسة الصورة تناولت أبرز(وسائل تشكيل الصورة) التي اتكأ عليها أبو فراس، وذلك من خلال الاستشهاد بشواهد لتلك الصور وتحليلها فنيًا مبيّنة ارتباط ذلك بتجاربه و قدرته من خلالها على التأثير في المتلقي.

ويأتي المبحث الثالث والأخير في هذا البحث متخذًا من (الموسيقي) مجالاً له، ليلقي الضوء في الجزء الأول منه من خلال الشواهد على طبيعة الموسيقى الخارجية (الأوزان والقوافي)، وكذلك الموسيقى الداخلية وعناصر تشكيلها،(التكرار والمحسنات البديعية) في الجزء الثاني منه، مع توضيح قدرة الشاعر واستطاعته على تلوين موسيقاه وتناسبها مع تلون الصور وتوظيفها في الأبيات الشعرية.

ثم جاءت (الخاتمة) في نهاية البحث ملخصةً لأهم نتائجه.

أما الدراسات السابقة التي تناولت شعر أبي فراس الحمداني فهي متعددة، تناولت شعره من عدة جوانب مختلفة،وهي :

- شاعر بني حمدان، أحمد أحمد بدوي، ط2، مكتبة الإنجلو المصرية،١٩٥٢م.

وقد تناول فيه المؤلف العصر الذي عاش فيه الشاعر، والمجتمع الحمداني وعلاقة أبي فراس بذلك المجتمع، وعلاقته بأسرته، وبسيف الدولة المؤثر الأكبر في فروسيته وأدبه، وأشار إلى ديوانه و موضوعات شعره، ثم وازن بين أبي فراس وأبي الطيب المتنبي.

- أبو فراس الحمداني حياته وشعره، عبد الجليل حسن عبد المهدي، ط1، الأردن- عمان :مكتبة الأقصى، جمعية عمال المطابع التعاونية، 1401هـ -1981م.

تحدث فيه عن البيئة العامة التي نشأ فيها الشاعر، والمجتمع الحمداني سياسيا واجتماعيا وعقليا وأدبيا، ثم تحدث عن سيرة الشاعر في فصل كامل، ثم أتبعه بفصل تناول شخصيته كما تبدو في شعره، بعد ذلك درس شعر أبي فراس في عدة فصول تناولت ديوانه، وأغراض شعره التقليدية والثانوية، ورومياته، والأغراض الشعرية التي ظهرت فيها، ثم ختم الباب الثاني بفصل تناول الخصائص الفنية العامة لشعر أبي فراس وآراء النقاد في شعره.

وهاتان الدراستان من أوسع الدراسات التي تناولت شعر أبي فراس الحمداني، وهناك دراسات تناولت جوانب من حياته وشعره ،منها على سبيل المثال لا الحصر :

- أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية، د.عبد المجيد الحر، ط1، لبنان بيروت : دار الفكر العربي، 1996م.

وهي دراسة عن حياته وموضوعات شعره، ونماذج من شعر الشاعر.

- أبو فراس الحمداني في رومياته، د.خالد الحلبي، ط1، إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، 1428هـ -2007م.

تحدث فيه عن حياة الشاعر في القسم الأول، ثم تناول في القسم الثاني الروميات ممهدا لذلك بسبب تسميتها،وتناول في الجزء الأول من الروميات الناحية الموضوعية موضحاً موضوعات شعره ، والجزء الثاني درسها من الناحية الفنية في المضمون والشكل .

وأخيرًا، أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت في دراسة هذا الموضوع وكتابة هذا البحث، وأن أكون قد قدمت عملًا يحظى بالقبول عند الله عزّ وجل أولاً، ويضيف للمكتبة الأدبية ثانيًا.

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله و صحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الدّارسة

التمهيد

أولاً: التعريف بالشاعر(أبي فراس الحمداني) :

"هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، الربعي، أبو فراس الحمداني: أمير، شاعر، فارس، وهو ابن عم سيف الدولة "[1]، "كانت ولادته في الموصل سنة (320) أو (321)للهجرة "[2]، وأبو فراس كنيته أطلقها عليه والده حينما رزق به[3]، ولم يكن أبو فراس الحمداني وحيد والده [4] ولكنه كان وحيد أمه، استدل على ذلك من شعره إذ يقول :

جاءَتكَ تَمتاحُ رَدَّ واحِدِها يَنتَظِرُ الناسُ كَيفَ تُقفِلُها[5]

تولى والده" ولايات مختلفة من قبل الخليفة العباسي... إلى أن حظي بولاية الموصل سنة 318 هـ، بعد أن عزل عنها ناصر الدولة، ومن المؤكد أن هذا كان عاملاً طبيعياً في انقضاض ناصر الدولة على عمه (أبي العلاء) وقتله سنة 323 هـ"[6].

---

[1] الأعلام –قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمتعربين، خير الدين زركلي، ط5، بيروت : دار العلم للملايين، 1980م، ص155.

[2] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت– لبنان :1397هـ - 1977م ،2/ص61.

وتاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، عمر فروخ، ط6،دار العلم للملايين، 1997م، ص495.

[3] ينظر: أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي، د. النعمان القاضي،(د.ط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982م، ص59.

[4] أبو فراس الحمداني، أحمد أبو حاقة، ط1، بيروت: دار الشرق الجديد، 1960م، ص30.

[5] ديوان أبو فراس الحمداني، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشية ووضع فهارسه سامي الدهان ،بيروت: مكتبة الدكتور مروان العطية ،1363هـ-1944م، ص332.

[6] أبو فراس الحمداني: حياته وشعره، د. عبدالجليل حسن عبدالمهدي، ط 1،الأردن: عمان، مكتبة الأقصى،1401هـ، 1981م، ص73.

وهكذا حرم أبو فراس من عطف والده مبكراً؛ إذ كان وقتها طفلاً صغيراً لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره، فنشأ يتيماً في أحضان أمه التي اعتنت بتربيته ورعايته، فكانت تتنقل به ما بين مواطن عديدة منها :"الموصل، وآمد، وميافارقين، والرقة، ثم استقرت به في منبج قرب حلب"[1] وكانت شديدة الحرص على تعليمه،"فأحضرت له مربين لقنوه علوم الدين واللغة العربية، وتاريخ العرب وأيامهم، ولاسيما تلك الأيام التي كانت لقبيلة ربيعة، ودرسوا له شيئاً من الشعر ولاسيما شعر أهل الشام الذين كان البحتري نموذجهم ومثلهم كما تعلم الرماية والفروسية على يد مدربين مهرة، وذلك هو منهج دراسة الأمراء في ذلك الحين، وقد أجاد أبو فراس ما درس"[2]، وما لبث أبو فراس حتى تولاه ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة، فكان له الأب العطوف، وأخذه معه إلى حلب عندما سار إليها؛ليؤسس بها دولته الحمدانية، فدخلها وفي حلب أحضر له سيف الدولة المؤدبين والمثقفين ووقف عليه العلماء والأدباء والمؤرخين، ليعدوه إعداداً أدبياً وسياسياً و بها تعلم على أيدي "جمهرة من كبار العلماء والأدباء فتخرج عليهم في اللغة والشعر والرواية حتى برع"[3]

فهضم أبو فراس علوم النحو واللغة، وبرع بالشعر والتاريخ، فصار له فيما بعد دوراً رئيساً في تلك المجالس،كما تولاه المدربون ونشئوه فارساً مغواراً إلى أن احتل مكانة مرموقة في الدولة الحمدانية، فكان سيف الدولة يشركه في بعض حروبه مع الروم، ويستخلفه حيناً آخر على أعماله في حلب، ولما بلغ سن السادسة عشرة قلده سيف الدولة إمارة منبج وحران وما جاورهما [4].

---

[1] تاريخ الأدب العربي: الأعصر العباسية، عمر فروخ ،ص495.

[2] شاعر بني حمدان، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية،1952م، ص18.

[3] أدباء العرب في الأعصر العباسية:حياتهم آثارهم نقد آثارهم، بطرس البستاني،طبعة جديدة، دارنظير عبود، 1997م، ص363.

[4] ينظر: أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي،ص78.

ووهب الشاعر حياته للذود عن الدولة الحمدانية، إلى أن تمكن الروم منه في يوم من الأيام وحملوه أسيرا ، كما أن مرحلة الأسر اختلف فيها المؤرخون في تاريخ وعدد مرات الأسر [1]؛ إذ كان أبو فراس "يسير في طريق السيف والقلم "[2].

(وقد عومل أبو فراس في الأسر من قبل الروم معاملة الأمراء، لكنه لم يطق حياة الأسر، فصدر عنه شعر الشكوى والعتاب والحنين إلى الأم والوطن، وإلى أميره سيف الدولة، يتخلله الشعور بالفخر والاعتداد بالنفس وبالنسب العربي والفروسية، والحث على طلب المفاداة)[3].

قال الثعالبي:" ولما أطلق أسد الحرب عن إساره، لم تطل أيام فرحته ...، وقيل:إنه قتل في وقعة كانت بينه وبين موالي أسرته "[4].

واختلفت الرويات في سنة الوفاة،فقيل إنها كانت في" يوم السبت من سنة سبع وخمسين وثلاثمائة "[5]، وبهذا انتهت حياة الشاعر الفارس أبي فراس الحمداني، مخلفاً ديواناً شعرياً، خلد ذكره، بما فيه من شعر قوي جزل، مألوف الألفاظ،سجل تاريخ حياته، وصور فخره بمآثره ومآثر أسرته وانتصاراتهم، وكشف عن مدى عتابه، وعمق حزنه وعجزه عن الخروج من أسره، وبذلك بقيت قريحة شعره تلوح في الشعر العربي عبر الأزمنة .

---

(1) تحدثت عن ذلك في الفصل الثاني فصل الانكسار، ص56.

(2) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، بيروت :دار الجيل ، ص820.

(3) ينظر: أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي ،ص130.

(4)يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحه، ط1، لبنان –بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ –1983م، ص 112.

(5) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العمار الحنبلي،ط2، بيروت :دار المسيرة 25/3.

ثانياً :مفهوم الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني :

تتفاوت الحياة بين الانتصار والأمل أحياناً وبين الانكسار والعجز فتولد ظروف حياتيه تختلف معها المشاعر، وكذلك ردود الأفعال اتجاهها، وقد يكون ذلك بين صورتين:

الصورة الأولى: الانتصار:

إذا عدنا إلى المعجم الشعري في اللغة العربية لنعرف معنى الانتصار، نجده يدور حول النَّصر إعانة المظلوم نصره على عدوّه ينصُره ونصَره ينصُره نصْراً ورجل ناصِر من قوم نُصَّار(1)، ويدل على إتيان خير وانتصر الله للمسلمين أتاهم الظفر على عدوهم[2].

الصورة الثانية: الانكسار :

يعني: " أن كل من عجز عن شيء فقد انكسر عنه وكل شيء فتر عن أمر يعجز عنه يقال فيه انكسر حتى يقال كسرت من برد الماء فانكسر" [3].

إذاً تتفاوت حياة أي إنسان بين هاتين الصورتين مع اختلاف حدتها من شخص لآخر،كما ظهر الانتصار والانكسار عند بعض الشعراء العرب الذين عاشو العزة والذلة، والسعة التي تبعها ضيق، مع اختلاف الظروف التي عايشوها ومن أبرزهم:(المعتمد بن عباد، والبارودي، وأسامة بن المنقذ وغيرهم)[4].

---

(1) لسان العرب،محمدبن منظور، (د.ط)، القاهرة: دار المعارف، باب النون ،مادة (نصر)، مج 6 ، ج 49، ص4439.

(2) معجم مقاييس اللغة، لأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1399هـ-1979 م، مادة (نصر)ج5/ص435.

(3) لسان العرب لابن منظور، باب الكاف، مادة(ك س ر) مج5، ج43، ص3873.

(4) تحدث المؤلف حسن نعيسة عن الشعراء الذين تعرضوا لمحنة الأسر بكتاب عنوانه :شعراء وراء القضبان، حسن نعيسه ،ط1، بيروت :دار الحقائق ،1986م.نقلاً عن : تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد،

لكن نلاحظ تجلي الانتصار والانكسار متمثلاً في ديوان الشاعر أبي فراس الحمداني أروع تمثيل، وتميّز شاعرنا عن غيره من الشعراء؛ لأن "في شعر(أبي فراس) ما في شعر الأقدمين الفحول، وفيه ما ليس في دواوينهم جميعاً، فهو يغني عنهم ولا يغنون عنه، سواء في ذلك هذه التعابير الصادقة، والتراكيب الواضحة، واللفظ العذب، والبيان الطلي، فليس فيه تكلف لفظي، ولا إغراب في المعنى، ولا إبعاد في المحسنات البديعية، فهو وحي العاطفة ،والشعور والصراحة، وهو تاريخ العصر الحمداني، وسجل لقبيلة (تغلب)، ويوميات لأفراد الأسرة الحمدانية في حربهم وسلمهم، وفي أفراحهم وأحزانهم، لم يكتب للناس وإنما انطلقت به نفس أبي فراس لأبي فراس " [1].

كما استطاع الشاعر الربط والجمع من خلال مراحل حياته المختلفة، بين تلك الثنائية التضادية على الرغم من أنها لم تكن على وتيرة واحده،معبراً عنهما بقصائد وأبيات شعرية رائعة تدل على قدرته الشعرية التي استطاع بها تخليد مواقفه وتجاربه بحلوها ومرّها، فقد قال اليعقوبي[2]:"ولم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر،فيه كانوا يختصمون،وبه يتمثّلون، وبه يتفاضلون، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويعيبون" [3]، إذا يتضح أن الشعر ملازماً للإنسان يتوج به مواقف حياته .

وقال أبو هلال العسكري: " لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها "[4].

إعداد عمر عبد الله عامر عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين –نابلس: 1425هـ-2004م، ص1.

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت :سامي الدهان، (المقدمة) ،ص18.

[2] هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، كاتب عباسي معروف، من مؤلفاته: أسماء البلدان، أخبار الأمم السالفة، توفّي سنة (٢٨٤ هـ)، ينظر في ترجمته: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المتنبي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ص١٦١.

[3] تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، بيروت: دار صادر، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، ص262.

[4] كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٧١ م ، ص 144.

ولن يظهر مدى توظيف الشاعر للانتصار والانكسار في شعره إلا من خلال التعمق في أبيات الشعر التي قالها، وأخص بذلك شاعرنا؛ لأنه بشاعريته الفذة استطاع أن يعبر عن التجارب التي عايشها ويصفها، فإنه مهما مر الإنسان بهذه الظروف ولم تكن لدية ملكة الشعر فإنه لن يصورها، لكن شاعرنا المبدع تحركت شاعريته لهذا الفن وأبدع فيه، مثله مثل غيره من الشعراء الذين خاضوا تلك التجارب فأبدعوا فيها، وليس معنى ذلك أن ننقص من قدر الشعراء الذين عاشوا حياتهم وتجاربهم بانتصارها وانكسارها، ووظفوا ذلك في قصائدهم وأجادوا في الشعر لكن كما ذكرنا سابقا أنها جاءت لدى شاعرنا معبرةً أجمل تعبير عن إحساساته ومشاعره ومجسدة لهذه المشاعر وتلك الأحاسيس .

ومن خلال العرض الموجز السابق لنشأة الشاعر نستطيع أن نلخص أهم أسباب ظهور الانتصار والانكسار فيما يلي :

هناك العديد من الأمور التي اجتمعت لتكون شاعرية أبي فراس الحمداني وشعره النابع من الوجدان، فنشأة الشاعر بين السيف والقلم منذ صغره أدت إلى إثراء ديوانه بمخزون شعري أصيل، وكذلك التنوع في ظروف حياته ونشأته أدى بطبيعة الحال إلى ظهور عدة صور تتفاوت بين انتصار وانكسار، مجسدا لها من خلال أروع الأشعار .

وخلاصة القول أن الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني يعود إلى عاملين :

الأول: عامل ذاتي،كون أبي فراس الحمداني شاعراً مبدعاً بطبيعته أعطاه القدرة على إبراز مواقفه والتعبير عنها .

الثاني: عامل مكتسب، وهو يعود إلى الظروف التي نشأ فيها، ومكانته المرموقة بين قومه، والعوامل التي طرأت عليه، وما لذلك من تأثير إيجابي على شعره .

الفصل الأول

من صور الانتصار في شعر أبي فراس الحمداني

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الفخر بالقبيلة

المبحث الثاني : الفخر بالفروسية

المبحث الثالث : الفخر بتعدد انتصاراته وكثرة مواقعه الحربية

كثيرا ما نسمع بالانتصار، إذ تكون له صور ومجالات كثيرة، ولكل مجال من مجالات الحياة وظروفها انتصار يقود إلى السمو والافتخار.

وفي معجم اللغة العربية نجد معنى الانتصار، يدور حول النَّصر إعانة المظلوم ونصره على عدوّه ...، ويدل على إتيان خير وانتصر الله للمسلمين آتاهم الظفر على عدوهم [1].

وقد عدّ ابن خلدون أبا فراس من الشعراء الفحول إذْ قال:" اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً ، أولها الحفظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ الحرّ النقي الكثير الأساليب، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين، مثل ابن أبي ربيعة، وكُثيِّر، وذي الرمة، وجرير، وأبي نواس، وحبيب، والبحتري، والرضي، وأبي فراس .." [2]، وقال بطرس البستاني متحدثاً عن أبي فراس:"كان همه تعداد انتصاراته، والإدلال بشجاعته وكرمه، وعفته وحلمه"[3].

ومن خلال المعاني السابقة يتبين أن الانتصار الذي شاع عند أبي فراس هو تحديه للظروف والمصاعب الاجتماعية والسياسية والنفسية التي عاشها وتغلبه عليها، وافتخاره بنفسه وقبيلته وفروسيته وتعداد الانتصارات التي حققها، على الرغم من الظروف القاسية التي عاناها، وإصراره وثباته أمامها فإن كل ذلك يُعدُّ انتصاراً.

ولعل شاعرية أبي فراس لا تتبين إلا من خلال عرض نتاجها, والفخر من أروع هذا النتاج، وقد تكون الصور التي اخترتها لتمثل جانب الانتصار في شعر أبي فراس الحمداني، متفقة مع قصائد أخرى في المضمون نفسه، لكن القصائد التي اخترتها لهذا الفصل لكونها أقرب إلى صور الانتصار من وجهة نظري ؛ وذلك لاعتماد الشاعر على نبرة الفخر والانتصار والعزة .

---

[1] سبق التعريف بالانتصار في التمهيد ، ص9.

[2] مقدمة العلامة ابن خلدون، ط4، 1398هـ-1978م، 1/ ص574.

[3] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص371.

المبحث الأول : الفخر بالقبيلة .

الفخر في المعجم يعني:"فخر فلان على فلان في الشرف والجلد والمنطق، أي:فضل عليه،... والفخر ادعاء العظم والكبر والشرف"[1].

إن تعبير الشاعر عن الفخر بقبيلته لم يكن وليد العصر، بل كان له جذور منذ عصور قديمه وأقوام سابقه مختلفة، كما نجده في العصر الجاهلي نتيجة التعصب القبلي الذي ساد كقول الأعشى مفتخراً بقبيلته"بكر " بموقعة ذي قار التي كانت بين العرب والفرس.

لمّا التَقَيْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَماجِمِنا ليعلموا أنّنا بكرٌ، فينصرفوا

قَالُوا البقِيّةَ،وَالهِنْدِيُّ يَحصُدُهم، وَلا بَـقِيّـةَ إلاّ النّارُ، فَانْكَشَفُوا

هلْ سرّ حنقطَ أنّ القومَ صالحهمْ أبوشـريحٍ ولمْ يوجدْ لهُ خلفُ

قَدْ آبَ جَارَتَهَا الحَسْنَاءَ قَيّمُها رَكْضاً،وَآبَ إلَيها الثّكْلُ وَالتّلَفُ

وَجُندُ كِسرى غَداةَ الحِنوِ صَبَّحَهُـم مِنّا كَتائِبُ تُزجي المَوتَ فَانصَرَفوا[2]

والفخر بالقبيلة كان سائداً من خلال شعرنا القديم لا في شعر الفخر فحسب، بل حتى في الغزل، كان هذا الفخر واضحاً وملموساً، مثل قول المرقش الأكبر مخاطباً محبوبته :

يا ذاتَ أَجْوَارِنا قُومِي فَحَيِّينَا وإنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فاسْقِينا[3]

---

(1) لسان العرب لابن منظور،باب الفاء، مادة (فخر)، مج 5، ص3361.

(2) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح محمد حسين، د.ط ،1950م، ص311.

(3) في رواية أخري نسبو الأبيات كما قال بعض بني قيس ثعلبه، قيل أنها لبشامة بن حزن النهشلي لكن كما كان صدر أولها :" **إنّا مُحَيّوكِ يا سَلمى فَحَيّينا * وَإن سَقَيتِ كِرامَ الناسِ فَاسقينا** "، ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تأليف الخطيب التبريزي، أبي زكريا يحي بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الشيباني،كتب حواشيه، غريد الشيخ ، وضع فهارسة العامة ، أحمد شمس الدين، ط1 ، لبنان – بيروت : دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000م،1/ص78.

وإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمَةٍ   يوماً سَرَاةَ خِيارِ الناسِ فادْعِينَا

شُعْثٌ مَقادِمُنا نُهْبَى مَرَاجِلُنا   نَأْسُو بأَموالِـنا آثارَ أَيْدِينَا

الْمُطْعِمُونَ إذَا هبَّتْ شَآمِيَةً   وخَيْرُ نادٍ رَآهُ النَّاسُ نادِينَا[1]

ثم جاء الإسلام وحرم كل ما يقوم على التحيز، ٹ ٹ ڇ ڇ چ چ ڇ ڇ چ ڇ ڇ ڇ چ ڇڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڇ (2) .

وليس معنى ذلك أنَّ فخر مسلم كأبي فراس بقبيلته بني حمدان يُعد مما حرّمه الإسلام؛لأن معظم هذا الفخر كان في مواجهة دولة الروم " الكافرة التي انتصرت عليها قبيلة الشاعر كثيراً " ولقد كثر فخر أبي فراس بهذه القبيلة قبل الأسر، وبعده.

وعلى الرغم من أن أبا فراس أسر وفقد السلطة والمال، إلا انه استطاع أن يحول ضعفه إلى قوه وانتصار، يتغنى به سواء كان ذلك قبل الأسر أم كان بعده، كما أن(شعر أبي فراس متين النسخ متعدد الأغراض، لكن الفخر طغى على سائر الأغراض) [3].

ومن خلال العرض السابق حول معنى الفخر، وأنه موضوع تناوله الشعراء منذ القدم في مختلف الصور، نستطيع أن نضع أيدينا على ما يقف عليه الشاعر أبو فراس الحمداني في فخره، وتناوله لتلك الصورة بشكل لافت، نتيجة للظروف والمواقف التي

---

(1) يخاطب امرأة يستسقيها الشراب إن سقت كرام الناس، ويعلن لها استعداده لتلبية الدعوة حين الجلى والعظائم. ويفخر بقومه أنهم شعث الرؤوس لإنهاكهم في الحرب، أجواد ذوو مروءة، وأن ناديهم خير ناد وأشرفه..، وكذلك فعل صاحب الخزانة ، فروى أبيات المرقش ثم ذكر رواية الحماسة، وصرح بأنها غيرها وأنها لبشامة بن حزن النهشلي. ينظر : المفضليا ت ، تحقيق وشرح ، أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، ط6، القاهرة : دار المعارف ، 1119م ، ص 431.

(2) سورة الحجرات، أيه 13.

(3) شرح ديوان أبو فراس الحمداني ، عباس إبراهيم ، ط1، بيروت : دار الفكر العربي ، 1994م، ص6.

مر بها، والفخر بالقبيلة ليس إلا صورة من صور الانتصار التي يبثها الشاعر؛ لما يمتاز به من مكانه اجتماعية مميزه .

فأبو فراس يفخر بنفسه ويعدد مناقب أجداده وآبائه وقبيلته، وذلك لاستشعاره مكانة قبيلته المرموقة ،ولما يتجذر منه أبو فراس من نسب عريق؛ لكونه من الأسرة الحمدانية التي يعود نسبها إلى تغلب، وهي" أعز قبائل العرب، وقد كانت القبائل من معد تدين لها وتعرف مكانتها، وكان البر يمتلئ بجنودها، والبحر يعم بسفنها، ..." [1].

وليتبين الفخر القبلي في شعر أبي فراس، فلقد حرصتُ على الوقوف عند الأبيات التي يكون فيها الفخر القبلي واضحاً جلياً ،كما أن الفخر عند أبي فراس بقبيلته كثير الشيوع في ديوانه، لكن فخر أبي فراس يختلف عن فخر غيره من الشعراء ،بأنه " لم يكن يعدُّ نفسه شاعراً حسب مفهوم عصره للشعر حيث يكاد يترادف معنى الشاعر مع معنى المادح المتكسب "[2]، بل كان هدفه عكس ما يسعى إليه الشعراء، ونجده يتكلم عن تلك الظاهرة، مثبتاً ذلك بالفخر الصريح ببني عمه، جاعلهم مصدراً للفخر و العلى، طالما سار الشمس والقمر، وذلك كما في قوله :

لَنا في بَني عَمّي وَأَحياءِ إِخوَتي عُلىً حَيثُ سارَ النَيِّرانِ سَوائِرُ

وإِنَّهُمُ الساداتُ وَالغُرَرُ الَّتي أَطولُ عَلى خَصمي بِها وَأُكاثِرُ

وَلَولا اِجتِنابي العَتبَ مِن غَيرِ مُنصِفٍ لَما عَزَّني قَولٌ وَلا خانَ خاطِرُ

---

[1] أبو فراس الشاعر الأسير، محمد رجب البيومي،ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2001م، ص30.

[2] أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان، د.محمد محمود، ط1، لبنان – بيروت: دار الفكر العربي،1996م، ص95.

وَلا أَنـا فيما قَد تَقَدَّمَ طالِبٌ جَـزاءً وَلا فيما تَأَخَّرَ وازِرُ

يُسَرُّ صَديقي أَنَّ أَكثَرَ واصِفي عَدُوّي وَإِن ساءَتهُ تِلكَ المَفاخِرُ

وَهَل تَجحَدُ الشَمسُ المُنيرَةُ ضَوءَها؟ وَيُستَرُ نورُ البَدرِ وَالبَدرُ زاهِرُ؟[1]

يثبت الشاعر فخره ببني عمه، معبراً بأنهم من السادات المليء تاريخهم بالأمجاد والمآثر، لاسيما وأن قبيلته بني حمدان كان لها إمارة الشام ،كما لها الصدارة بين القبائل، فهي مثل الشمس والقمر المضيئان التي لا يمكن إنكارهم أو الاستغناء عنهم، كما يذكر أبو فراس أنه ينطق من أجل الفخر بقبيلته وليس لأي شي آخر:

نَطَقتُ بِفَضلي وَامتَدَحتُ عَشيرَتي وَما أَنا مَدّاحٌ وَلا أَنا شاعِرُ[2]

ينشد الشاعر في أبياته السابقة، نشيد العزة الحمدانية، وهو يدرك أن بعض الشعراء كانوا يتكسبون بالمديح عند قولهم الشعر، ولكن مديحه هو يختلف عنهم، إنما هو يمدح قومه من باب الفخر بهم،و" لعل تيتمه في حداثة سنه الذي حرمه عطف والده وحفاوة المتزلفين دعاه إلى الفخر استعاضة عن مديح الشعراء"[3].

كما يتميز أبو فراس بسعة علمه ولاسيما بتاريخ قبيلته بني حمدان، وحسن تصريف ذلك العلم يظهره في شعره مفتخراً به حيث يقول :

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص123.

[2] المصدر السابق ، ص123.

[3] فنون الأدب العربي الفن الغنائي (الفخر والحماسة)، حنا الفاخوري، ط5، القاهرة: دار المعارف، 1119م،ص31.

فمن شاء فليفخر يجد فخر فاخر ومن شاء فلينطق يجد نطق عالم[1]

وممّا لاشك فيه أن أبا فراس كان " واسع المعرفة بالأخبار والتاريخ سعة تدعو إلى الدهشة فعلاً، وخصوصاً فيما يتعلق من الأخبار بأيام العرب والفرس **وبتاريخ قومه على الأخص** ، ثم إنه واسع المعرفة بأبواب أخرى من العلم كالفلك مثلا،... والذي يلفت النظر إحاطته بتلك المعارف بل حسن تصريفها في شعره "[2] .

وقد تعددت مفاخر أبي فراس الحمداني بقبيلته وتشعبت باختلاف المواقف والمراحل التي مر بها، كما كان في كل المواقف متوهج الذات، فنجده –مثلاً –يتخذ الفخر بقبيلته لذكر مآثر وبطولات بني حمدان ،كما في قصيدته التي قالها في أسره مفتخراً بقبيلته التي مهما حاول أن يرصد مفاخرها لا تسعه الكتب،كما قال أبوعبد الله بن خالوية : قال لي أبو فراس: "مفاخر آبائي وأجدادي، أكثر من أن يجمعها شعري، فقد اضطررت إلى ذكر الوقائع المشهورة والعساكر الجامعة، فلم أذكر من الوقائع إلا ما كان بقبائل بأسرها، فلو عددت ما عددت العرب أمثاله، مثل: يوم (رحرحان)، ....، لعددت مالا تسعه الكتب، فاقتصرت على ما ذكرت، والفضل مشترك والقصيدة هي: "[3].

لَعَلَّ خَيالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسعَدَ مَهجورٌ وَيُسعَدَ هاجِرُ[4].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص384.

[2] أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم ،للدكتور عمر فروخ، ط 1، بيروت: مكتبة منيمنه للطباعة والنشر ، 1373هـ-1954، ص42.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان، ص102.

[4] المصدر السابق، ص103.

وتعد القصيدة السابقة من أطول ما قاله الشاعر، استهلها بالغزل ثم الفخر بنفسه وبقومه وتعداد مآثر وأمجاد بني قومه (حمدان)، وكأنه يسجل تاريخهم بها .

ولا يمل أبو فراس من الفخر بأسرته التي تنسب إلى " تغلب فقد كان لأبي فراس من عز تغلب قبيلته ومكانة آبائه الذين اشتهروا بالشجاعة والجلد وعلو الهمة داع يستفزه إلى الفخر "[1]،حيث يقول :

لنا أولٌ في المكرمات وآخرُ وباطنُ مجدٍ تغلبيٍّ وظاهرُ[2]

ومن أبيات الفخر في هذه القصيدة ما يذكره الشاعر من مآثر وأمجاد ومواقف أهله وقومه، وسيادتهم مستذكراً صولاتهم وبطولاتهم مع أعدائهم من الروم، مفتخرا بها، قائلاً :

فجدي الذي لمّ العشيرةَ جودُه، وقد طار فيها بالتفرق طائرُ،

تحمل قتلاها وساق دياتِها ، حمول؛ لما جدّت عليه الجرائرُ

ودمائه؛ لولاه ،جدّت دماؤهم موارد موت ،مالهنّ مصادر[3].

ودائماً ما يربط أبو فراس بين الكرم والشجاعة اللذين اتصف بهما أجداده ،مفتخراً بأجل الأعمال التي امتازوا بها من الصلح بين القبائل، وتحمل الديات؛ وذلك منع الحروب، وهو "يرى في قبيلته الخير كله فإن ماضيها ومالها من الأيام المأثورة، قبل الإسلام وبعده يشهدان بمفاخرها " [4].

---

[1] الفخر والحماسة، حنا الفاخوري ،مرجع سابق ، ص31.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص109.

[3] المصدر السابق، ص109ومابعدها .

[4] فنون الأدب العربي الفن الغنائي (الفخر والحماسة)، حنا الفاخوري،مرجع سابق، ص32 .

كما أنه في موضع آخر من الفخر لدى أبو فراس نجده يعتز بذاته مفتخراً ببني حمدان وأنهم من خير الناس، كما أن لهم ماضياً يشرفهم يقول أبو فراس :

إني امرؤ "ببني حمدان " مفتخر خير البرية أجداداً وأسلافا

إني لمن معشرٍ، ماضيم جارهم ، ولا رأى عندهم بؤساً،ولا خافا

إن حالفتنا المعالي،فهي قد علمت كانت لآبائنا،من قبلُ ، أحلافا

من كلِ مشتملٍ بالصبرِ مدرعٍ ما خاف قطُّ ولا والى ولا صافى [1]

يحاول الشاعر في أبياته السابقة أن يعبر عن الفخر بقومه وأنهم من خير الناس، موضحاً ما امتازوا به، بأنهم أمراء لا يظلمون شعوبهم وليس عندهم من يظلمهم أو يخيفهم،كما أنهم بلغوا من العز مبلغا لم يصل إليه غيرهم، يقول :

لمن الجدود الأكرمو نَ من الورى إلاَّ ليه ؟

من ذا يعد كما أعـ ـدُّ من الجدود العالية؟[2]

يستفهم أبو فراس الحمداني في البيتين السابقين، مفتخراً بقبيلته وأجداده الكرام معتزاً بهم وأنهم من أعالي القبائل، كما أن استفهام أبو فراس ب"لمن **الجدود**... " و **من ذا يعد** .." يدل على علو همته والمكانة العالية التي تحظى بها قبيلته، فمعنى استفهامه في البيتين يخرج به إلى معنى الفخر ببني حمدان .

كما يباهي ويفخر بقبيلته بأنهم خلقوا لمجد ولبأس ولجود قائلاً :

لَئِن خُلِقَ الأَنامُ لحَسوِ كَأسٍ وَمِزمارٍ وَطُنبورٍ وَعودِ

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص260.

[2] المصدر السابق ، ص432 .

فَلَم يُخلَق بَنو حَمدانَ إِلّا لِمَجدٍ أَو لِبَأسٍ أَو لِجودِ[1]

ويحلو للشاعر أبو فراس أن يفتخر بقومه، فهو يرى أنه إذا افتخر فلن يجد أفضل من قومه يفتخر بهم، حيث إنه يشعر بالعزة والرفعة والمكانة العالية، قائلاً:

وإذا فخرتُ،فخرتُ بالشّمّ،الألى شادوا المكارمَ من بني حمدانِ

نحنُ الملوكُ،بنوالملوكِ،أولى العُلا ومعادنُ الساداتِ من عدنان

والمجد يعلم أننا أركانه، والبيت معتمد على الأركان

قومي،متى تخبرهمُ،لم يحسنوا غير اصطناع العرف والإحسان

كم معدم أغنواْ بفضل سماحهم كرما، وفكوا عن أسير عان

وهُم أحق ببيت شعرقد مضي في الناس،ممن ضمه الثقلان

وإذا دعوتهم ليوم كريهة سدوا شعاع الشمس بالمران[2]

يفخر أبو فراس متخذاً سيادة قومه وإباءهم، وأنهم ملوك بنو ملوك، وأن لأهله أمجاداً مثل أركان البيت، مناط فخر واعتزاز،ففي قوله:(والمجد يعلم أننا أركانه،والبيت معتمد على الأركان) تعبير بليغ عن الفخر بأن قبيلته هم أهل المجد والسيادة والقوه،وأنهم أركان وأساس يعتمد عليهم لكل الأقوام،كما يعتمد البيت على الأركان، وأنهم تميزوا بصفات العرف والإحسان من غير تصنع، والعفو عن الأسرى، وأن الفخر بهم حق على الشعر،كما أنهم مستعدون بكامل جاهزيتهم للحرب في أي وقت، وهكذا تتضخم ذاتية أبي فراس حين يأخذ في الفخر بقومه الذين يعلم المجد أنهم أركانه.

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص94.

[2] المصدر السابق ، ص415.

ولا يمل أبو فراس من تعداد مآثر قومه وأهله من ملوك بني حمدان، ولاشك في أن استخدامه لـ " كم " الخبرية دليل على ما اتسم به آل حمدان من كرم ومجد وعرق وإحسان، وإغناء للمعدمين، وفك الأسرى ،وشجاعتهم في يوم الكريهة.

وها هو ذا يفخر بقومه وبشجاعتهم، ويرى أن الشجاعة كانت دوماً السبب في سيادتهم قائلاً:

ولقوميَ الشَّرفُ المنيعُ محلُّه، فوقَ المجرَّةِ،والسِّمَاكِ المِرْزَمِ

وَرَثُوا الرئاسة كَابراً عن كابرٍ من عهد عاد في الزمان وجُرهُمِ

ظَفِروا بها بالسَّيفِ،أولَ مرةٍ وبقاؤُها بالسيف أصبحَ فيهمِ

نحنُ البحارُ،بل البحارُ مياهها مِلحٌ،ومورِدُنا لذيذُ المطعمِ[1]

كما أنه من الجميل استمرار فخر أبي فراس –في الأبيات السابقة– بقبيلته فهو يراهم مثل النجوم المضيئة كما أنهم ورثوا السيادة والرئاسة من قديم الزمان، وضرب مثلاً بعاد وجرهم وهم" قبيلتان عربيتان يضرب بهما المثل في القدم"[2]، ولاشك في أن للبيت الأخير من هذه الأبيات مذاقه العذب في النفس كمذاق مورد بني حمدان لذيذ المطعم .

كما "كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة "[3].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص 377.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1414هـ –1994م،ص314.

[3] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري،1/ص 37.

ويعبر الشاعر عن فخره بقبيلته وأجداده الأبطال وآبائه، بجعلهم مناط فخر له يعتد ويعتز بهم في نسبه أمام الناس ، قائلاً :

"حمدان"جدي خير من وطئ الثرى وأبي"سعيد" في المكارم أوحد

أعلى لنا " لقمان" أبيات العلا، وأناف "حمدان" وشيد " أحمد

يعطي إذا ضن السحاب؛تكرمًا؛ ويجير إن جار الزمان الأنكد

والمجد يوجد عندنا بأرومة، والعار والفحشاء ما لا يوجد

والفخر يقسم: أننا أربابه دون البرية؛ والمكارم تشهد[1]

ويزداد فخر أبي فراس بقبيلته وأهله وخاصة بجده وأبيه وقرابته فيقول:إنهم من خير الناس وأكرمهم،كما أنهم متواجدون عندما يبخل الزمن عليهم، وكذلك أن المجد موجود ومتأصل في قبيلته، ثم يلفت انتباه القارئ والسامع، ويؤكد ويخبر عن فخره جاعلاً الفخر يقسم بأن قبيلته أصحابه وملازمون له، وأفعالهم وأخلاقهم خير شاهد على ذلك .

و لا يغفل أبو فراس الناحية البطولية لقبيلته، فنجده يفخر بشجاعة وفروسية قومه، وأنهم اعتلوا على باقي الأقوام والقبائل بشموخهم وإبائهم وتميزهم في الحرب،في مقطوعة من بيتين، قائلاً فيها :

لنا بيت على عنق الثريا بعيد مذاهب الأطناب سام

تظلله الفوارس بالعوالي وتفرشه الولائد بالطعام[2]

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص88 -89 .

[2] المصدر السابق، ص364 - 365.

فيجسد الشاعر فخره بقبيلته في مقطوعته التي يفخر من خلالها ببني حمدان، موضحاً المكانة العالية السامية التي تمتاز بها قبيلته- بني حمدان -، كما أن رجالها فرسان شجعان أصحاب همم عالية في أسمى الأمور .

ويستمر فخر الشاعر بقومه بأنهم يرفضون التوسط، فهم يدفعون أنفسهم طالبين المعالي، قائلاً :

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، لَنَا الصّدرُ، دُونَ العالَمينَ، أو القَبرُ

تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا، ومنْ خطبَ الحسناءَ لمْ يغلها المهرُ[1]

كما يفخر بكرم قومه جاعلهم من أكرم البشر، قائلاً بعد البيتين السابقين :

أعزُّ بني الدنيا ، وأعلى ذوي العلا ، وَأكرَمُ مَن فَوقَ الترَابِ وَلا فَخْر[2]

وتدل الأبيات السابقة على اعتزاز أبي فراس وفخره البارع بمجده، وكذلك تطلعه الدائم إلى المعارك، كما كان الشاعر فارساً في رفضه لواقع الأسر الذي يعيشه في نفس الدرجة التي كان فيها فارساً بقبوله قضاء الله وقدره، وأننا نضحي بأرواحنا عندما نطلب المعالي، كما أن مهر الحسناء إذا كان كبيراً فإنه لا يكون سببا في التخلي عن خطبتها.

وقوله في البيت الذي يله: (وَأكرَمُ مَن فَوقَ الترَابِ وَلا فَخْر) كناية عن المكانة العالية التي تحتلها قبيلة بني حمدان، كما أنه يعبر في أبياته عن "كل ما جاش بنفسه من أطراف الفخر وجمع كل ما تصور بنفسه وقومه من معاني العزة والمنعة،

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص214.

[2] المصدر السابق، ص214.

بحيث لا ينبغي لواحد منهم أن يعيش إلا سيداً، فإما أن تكون لهم الصدارة وإلا فالقبور أولى بهم وأكرم لهم " [1].

كذلك نرى أن أبا فراس الحمداني يفخر بقومه وبعلمهم بفنون القتال، وكان أشد فخر أبي فراس ما كان على الروم، عندما وقعت بينه وبين الدمستق مناظرة في الأسر ،"فقال له الدمستق: إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب، فقال له أبو فراس: نحن نطأ أرضك منذ ستين سنه بالسيوف أم بالأقلام"[2]، وفي موضع آخر جاء بشعره ليثبت ويفتخر به على الدمستق الذي زعم أن العرب أصحاب أقلام لا أصحاب سيوف،كما يعدد القواد الذين نكبهم الحمدانيون قتلا أو أسرا، قائلاً:

أتَزْعُمُ ، يا ضخمَ اللّغَادِيدِ ، أنّنَا وَنحن أُسودُ الحرْبِ لا نَعرِفُ الحرْبَا

فويلكَ؛منْ للحربِ إنْ لمْ نكنْ لها ؟ ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا؟

و منْ ذا يلفّ الجيشَ منْ جنباتهِ؟ و منْ ذا يقودُ الشمَّ أو يصدمُ القلبا؟[3]

من خلال هذه الأبيات يصف أبو فراس الحمدانيين، وما امتازوا به من شجاعة ثابتة في الحرب ، تلك التي لا يمكن لأحد إنكارها، كما أنهم يشبهون الأسود في شجاعتهم، فشجاعتهم صفة ثابتة في قبيلته بني حمدان الفرسان،كما أن الشجاعة صفة ثابتة في الأسد، كما أن عيشهم على حدود دولة الروم، وجعل الشاعر يدحض بهذه الأبيات الرأي الذي يقول أن الحمدانيين فرسان أقلام وليسوا فرسان ميادين، ومن الجميل في هذه الأبيات أن الشاعر

---

[1] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د.مصطفى الشكعة، ط2 ، بيروت: عالم الكتب، 1981م، ص264.

[2] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،مرجع سابق، 1/ص 106.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص36.

صور ما يقصده بحيث يدفع المتلقي إلى سرعة وإدراك ما ترمي إليه هذه الأبيات من فخر أبي فراس بقبيلته والرد مدافعاً عنها أمام الأعداء.

وفي جانب آخر من الفخر لدى الشاعر، أنه "في أحد الأيام انتصر سيف الدولة على من حاول تحديه، حين تعرض لكثير من الثورات من قبل البدو الضاربين في بادية الشام، وهم في غالبهم من قبائل نزار، فثار سيف الدولة لهذا التحدي وحاصر المتمردين هو وابن عمه حتى قضوا عليهم"[1].

وفي هذا الحدث يقول أبو فراس مفتخراً معتزاً مدافعاً عن قبيلته :

أَلَمْ تَرَنَا أعَزَّ النّاسِ جَاراً وأمنعهمْ؛ وأمرعهمْ جنابا؟!

لَنَا الجَبَلُ المُطِلُّ على نِزَارٍ حَـلَلْنَا النّجْدَ مِنهُ وَالهِضَابَا

تفضلنا الأنامُ ولا نحاشى ونوصفُ بالجميلِ؛ولا نحابى

وقد علمتْ"ربيعةُ"بلْ" نزارٌ " بِأنّا الرأسُ والناسَ الذُّنابى[2]

كما يفخر أبو فراس ويتغنى بانتصار سيف الدولة على أعدائه والقبائل المتمردة، كقبائل نزار وكليب وغيرها، مباهياً ومصوراً شجاعتهم وقوة بأسهم، كما أنهم من أعز الناس وأنهم لا يميلون عن الحق مع تفضيل الناس لهم، و أنهم هم الرؤساء وبقية الناس أتباعهم .

ثم يستكمل أبو فراس أبياته مفتخراً بسمات قبيلته وشجاعتهم، ويصور ما حققه الحمدانيون تحت ظل سيف الدولة أجمل تصوير قائلاً:

---

[1] أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية ، د.عبد المجيد الحر ، ط1، لبنان- بيروت : دار الفكر العربي ، 1996م ، ص102.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص13.

ولما ثارَ" سيفُ الدينِ" ثرنا كَمَا هَيّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أسِنّتُهُ، إذا لاقَى طِعَاناً، صوارمهُ ، إذا لاقى ضرابا

دعانا– والأسنةُ مشرعاتٌ– فكنا،عندَ دعوتهِ، الجوابا

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ، وَغَرْسٌ طابَ غَارِسُهُ، فَطَابَا

وكنا كالسهامِ؛ إذا أصابتْ مراميها فراميها أصابا[1]

عبّر أبو فراس في أبياته الموجزة بصور جميلة مفتخراً بشجاعة وبأس قبيلته بني حمدان الذين يأتمرون بأمر قائدهم ابن عمه–سيف الدولة– الذي تميز بشجاعته الفذة في مواجهة أعدائه وخصومه، معبراً عن حالهم الذي ينم عن تلاحمهم وتماسكهم مع بعضهم البعض أمام العدو، كما أنهم مطيعون لسيّد بني حمدان وقت دعوتهم،ولا يتأخرون، فإذا ما ثار سيف الدولة فإنهم يثورون جميعاً، وأنهم سيوفه ورماحه في الحرب، فالشاعر من خلال ما سبق يقدم لنا أبياتاً جميلة واصفاً بها حال قومه وشجاعتهم وإقدامهم، وجاهزيتهم الكاملة عندما يحين وقت الوقوف أمام الأعداء في أرض المعركة .

والمواضع التي تنحو منحى الفخر بقبيلته وفروسيتهم كثيرة في ديوانه[2]، كما أن هذا الجانب أخذ مكاناً مهماً في ديوان أبي فراس الحمداني، الذي أعطى هذا الجانب اهتماماً كبير، على الرغم من اختلاف المواقف والظروف،إلا أن صور فخره بقبيلته تنم عن ماضٍ مشرق له ولقبيلته، والشواهد السابقة كانت على سبيل المثال لاالحصر،ومما لاشك فيه أن فخره بقبيلته وتسجيل مآثر قومه وأجداده جعل لفخره قيمة تاريخية، كما يُعد انتصاراً على الظروف التي مر بها .

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت:سامي الدهان ، ص13.

[2] للشاعر بعض القصائد التي تناولها مفتخراً بقبيلته، ينظر: ديوان أبو فراس الحمداني، سامي الدهان،ص-43-51-183-338-424- 425، وغيرها .

المبحث الثاني :الفخر بالفروسية .

تعد الفروسية من أهم صفات الأبطال، ولاشك في أن القارئ لشعر أبي فراس، والسامع له يشعران بأنهما أمام فارس شجاع مقدام يحملهما على أن يعيشا معه حروبه، ويعايشا وقائعه ، فهو على مر العصور "غلب القدماء صفات الفروسية فيه على ما سواها، فهو النجيب الذي برع في كل فضل، وهو مع حسن خلقه الذي لم ير في عصره أحسن منه، وطهر خلقه الباطن والظاهر فارس تام الفروسية وشجاع كامل الشجاعة، ويجعل ابن خالوية أبرز صفاته الشجاعة وشهد له الثعالبي بالفروسية والإقدام، وينعته ابن رشيق القيرواني بفارس الميدان ضرباً وطعناً ولفظاً ومعنى، ويتفق المحدثون مع القدماء في تقديم صفات الفروسية وشيمها على غيرها من الصفات في شخصيته، ولعل أصدق ما وصفه به المحدثون أنه فارس الشعراء وأنه كان أنجب أهل الفروسية في كل عصر، و انه كان جندياً منقطع النظير، وقد شهد له بالبطولة كل من تعرضوا له بالدارسة، ولم تكن بطولته موضع مناقشة بأية حال لدى كل من درسوا شعره"(1)، وعلى الرغم من أنه لم يجسد فروسيته في قصائد مستقلة إلا أنه كثر حديثه عن الفروسية في مجال الفخر، ولا شك في أن شعر الفروسية يحتل المكانة العليا في شعر العرب فهو: "لسانهم المعبر عن حالاتهم في أفراحهم وأتراحهم، والسلاح المؤثر الذائد عن القبيلة الذي لا تقل فاعليته عن أدوات الحرب وفرسانها "(2).

ولا تكتمل الفروسية إلا بعدة الحرب وأدوات القتال، التي تؤدي إلى النصر –بإذن الله – كما ﭧ ﭨ ﭽ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ٻ ٻ ٺ ٺ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ(3).

(1) أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي، د. النعمان القاضي،ص149.

(2) مفهوم الصدق في النقد القديم، حمود محمد الصميلي، ط1، إصدارات نادي جازان، 1422هـ-2001م ، ص15.

(3) سورة الأنفال، ايه 60.

والفارس الشجاع" لابد له من أن يهتم بالسلاح ، فا" لسلاح زاد المحارب، يدافع به عن نفسه، ويرهب به عدوه، ولذا كان الشعراء يفخرون بما يحملونه من سلاح، ويتجهزون به، ولكل زمان سلاحه ، وكان سلاح هؤلاء الفرسان في عصرهم السيف والرمح "[1].

وأبو فراس الحمداني من الفرسان الذين تتحقق فيهم معنى الشجاعة التي تعني:" الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك،وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت"[2] ولقد "نبغ أبو فراس في ميدان الفروسية، وكانت له فيه صولات وجولات،ونستطيع أن نعود بفروسيته إلى عوامل وراثية، واجتماعية ونفسيه تضافرت على إسباغ صفة الفارس عليه "[3].

والظاهر جلياً في أن الفخر بالفروسية صورةٌ من صور الانتصار عند أبي فراس الحمداني، لذلك أفردتُ له مبحثاً خاصاً نظراً لأهمية تلك الصورة، ولإيضاح هذا الجانب لابد من استعراض ما قال أبو فراس مجسداً فروسيته من خلال فخره بهذه الفروسية، وحينما نقراء ديوان أبي فراس نجد ذلك الفارس الذي أعد نفسه للقتال وخوض المعارك، فالشاعر الفارس يود لو تنفى عنه صفة الشعر وتنسب له صفة الفروسية؛ لأنها هي التي يريد أن يقترن اسمه معها، ونلمس ذلك في قول أبي فراس :

فحمَ الغبيُّ وقلتُ غيرَ ملجلجٍ: إنّي لَمُشْتَاقٌ إلى العَلْيَاء

[1] شعراء فرسان تحت راية الإسلام (تاريخ وظواهر فنيه)، علي أحمد علام، ط1، دار الوفاء ، 2001م، ص303.

[2] تهذيب الأخلاق، لأبي عثمان عمر بن بحر للجاحظ، ط1، مصر- القاهرة: دار الصحابة للتراث، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م، ص ٢٧٠.

[3] أبو فراس الحمداني حياته وشعره ، عبد الجليل حسن عبد المهدي، ص130-131.

وَصِناعَتي ضَرْبُ السّيُوفِ وَإنّني مُتَعَرّضٌ في الشّعْرِ بِالشّعَرَاءِ[1]

يظهر جيداً من البيتين السابقين علاقة أبي فراس بين الشعر والفروسية، كما يبدو أن أبا فراس يفخر ويباهي بحرصه على أن يكون فارساً أكثر من أن يكون شاعراً، فهو يستخدم الشعر بوصفه وسيلة للتعبير عن تجاربه وبطولاته حتى صارت" تجربة شعر الفروسية والإمارة عند أبي فراس من التجارب الفريدة في الشعر العربي، إن لم تكن أفضل تجربة"[2].

ويتغنى أبو فراس بفروسيته ويفتخر بها ويباهي قائلاً :

ولا تصفنَّ الحربَ عندي فإنها طَعَامِيَ مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وَشَرَأبي

وقد عرفتْ وقعَ المسامِيرِ مهجتي و شققَ عنْ زرقِ النصولِ إهأبي

وَلَجّجْتُ في حُلوِ الزّمَانِ وَمُرّهِ، وَأنْفَقْتُ مِن عُمرِي بِغَيْرِ حِسابِ [3]

يصور الشاعر في الأبيات السابقة القتال،معتمداً على خبرته الحربية في إبراز قوته وشجاعته ،معبراً واصفاً نفسه بالمتعلق بالحرب التي يخشاها كثيرون، ويرى أنه ليس أطعم وأحب من مقارعة الفرسان، وأن الحرب طعام الفارس وشرابه الذائق لحلاوة الحياة ومُرها، رغم (اللجج)، الواسعة إلا أنه استطاع أن يتجاوز تلك (اللجج) وينجو منها .

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص9.

[2] شعر أبي فراس الحمداني دلالاته وخصائصه الفنية، د. عبد اللطيف عمران، ط ١، دمشق: دار الينابيع، ١٩٩9م، ص ١١٣.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص29.

وتتعالى نبرة الفخر عند أبي فراس مفتخراً بفروسيته وشجاعته وكثرة أعدائه وقدرته على قيادة الجيوش حيث يقول :

إذا التفَّتْ عليَّ سراةُ قومي وَلاقَينا الفوارسَ في الصَّباحِ

أقود بهم إلى الغَمَرَاتِ سعياً بناتِ السبقِ تحتَ بني الكفاحِ

تَكَدّرَ نَقْعُهُ، وَالجَوّ صَافٍ، وأظلمَ وقتهُ ، واليومُ صاحِ[1]

وجميل أن ينقلنا الشاعر من خلال هذه الأبيات إلى جو المعركة التي يخوضها مصوراً شجاعته وقدرته على قيادة الفرسان الأقوياء الذين سطر بهم أروع الانتصارات والبطولات، على الرغم من كثرة أعدائه ومعاركه ،وقد رسم لنا الشاعر صورة جميلة في البيت الأخير حيث تكدَّر النقع من تلك الحوافر التي أثارت تلك الأتربه مما يؤكد قوة المعركة وهولها على الرغم من صفاء الجو، ولا شك في أن ذلك كله لم يتحقق إلا بما بذل هذا الفارس مع سراة قومه حين لاقوا فوارس أعدائهم صباحاً .

ويربط أبو فراس بين فروسيته وعزّه الذي حققه بحسامه وضربه أعداءه بالسلاح، فيقول :

لا عِزَّ إلا بالحسَامِ المِخْذَمِ وضِرَابِ كلِّ مُدَجَّجٍ، مُسْتَلئمِ

وقراعِ كلِّ كتيبةٍ بكتبةٍ ولقاءِ كلِّ عَرَمْرَمٍ بعرمرمِ

ولقد رضعتُ من الزمان لبانَه وعرفتُ كلَّ مُعوَّجٍ ومقوَّمِ

وقطعتُ كل تّنُوفةٍ لم يلقَهَا قَرْمٌ،ولم تُقرعْ بباطنِ مَنْسِمِ

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص64.

وأهنتُ نفسِي للرِّمَاحِ وإنَّهُ من لم يَهُنْ بينَ القَنَا لم يُكرَمِ (1)

يعبر الشاعر مفتخراً بفروسيته وذلك من خلال ربطها بعزه المرتبط بسيفه القاطع المقابل للجيش العظيم، ومن الجميل ذكره المقابلة في البيت الأخير(من لم يَهُنْ بينَ القَنَا لم يُكرَمِ) جاعلاً الإهانة بشرط حمل الرماح يقابلها كرامة الإنسان الشجاع .

والأخلاق العالية في ميادين القتال ومواجهة الأعداء مما حبا به الله هذا الفارس العظيم،كما امتاز في تحقيق الانتصارات والبطولات في وقت تراجعت فيه الانتصارات العربية، يقول مفتخراً :

وإني لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ معودةٍ أنْ لا يخلَّ بها النصرُ

وإني لنزالٌ بكلِّ مخوفةٍ كثيرٌ إلى نزالها النظرُ الشزرُ

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ

وَلا أُصْبِحُ الحَيَّ الخَلُوفَ بِغَارَةٍ، وَلاالجَيشَ مَا لـمْ تأتِه قَبليَ النُّذْرُ

وَيا رُبّ دَارٍ لـمْ تَخَفْني،مَنِيعَةٍ طلعتُ عليها بالردى أنا والفجرُ

وحيّ رددتُ الخيلَ حتى ملكتهُ هزيماً وردتني البراقعُ و الخمرُ

وَسَاحِبَة الأذْيالِ نَحوي لَقِيتُهَا فلمْ يلقها جهمُ اللقاءِ ولا وعرُ

وَهَبْتُ لهَا مَا حَازَهُ الجَيشُ كُلَّهُ و رحتُ ولمْ يكشفْ لأثوابها سترُ

و لا راحَ يطغيني بأثوابهِ الغنى و لا باتَ يثنيني عن الكرمِ الفقرُ

(1) ديوان أبو فراس الحمداني،ت:سامي الدهان، ص 376 -377.

و ما حاجتي بالمالِ أبغي وفورهُ ؟ إذا لم أفِزْ عِرْضِي فَلا وَفَرَ الوَفْرُ [1]

يعبر أبو فراس في الأبيات الشعرية،عن صورة الفارس الشجاع الذي يحالفه النصر في جميع المعارك التي يقودها، وقد أبدع الشاعر في التعبير حينما جعل الرماح والسيوف ترتوي من دماء الخصوم، وكما أن الذئاب والنسور تشبع من جيف الأعداء ، ويقابل ذلك عطش الفارس الشجاع، صاحب الأخلاق القتالية، واصفا مفتخراً بنفسه بأنه الفارس المغوار الذي لا يقوم بالغارة حتى تسبقه النذر وهو عفيف، وكريم، و به حياء عجيب،حين تردّه نساء الأعداء اللائي عبّر عنهن بالبراقع والخمر، و أنه عندما تلقاه الفتيات يلقاهن من غير قسوة أو شدّة، كما أن فقره لا يمنعه من الكرم، ويقول ما حاجتي بالمال الكثير ما لم استطع حماية كرامتي وهذا دليل على قناعته ،كما "يصف نفسه مفتخرا بأنه كشاف الغم برماحه وسيوفه وهو فرد وحيد وليس له من مساعد إلا الجواد الذي يمتطي صهوته والسيف يحز به الرؤوس، والرمح يحطم به الضلوع والصدور، كما يصف نفسه بمنتهى الشجاعة، فيشبهها بالأسد، وبمنتهى البلاغة، فهو ينطق عن بيان "[2].

ويلاحظ كذلك أن الشاعر صاحب مُثل دينية إلى جانب الحياء الذي جسَّده من قبل إيمانه المطلق بقضاء الله وقدره، وذلك في قوله :

أسرتُ وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى، ولا فرسي مهرٌ ولا ربهُ غمرُ !

و لكنْ إذا حمَّ القضاءُ على أمرىءٍ فليسَ لهُ برٌّ يقيهِ ولا بحرُ ![3]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان، ص212/2.

[2] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعه، ص244.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ،ص213.

فيبرر أبو فراس سبب أسره وبرجعه إلى قضاء الله وقدره، ولاشك في أن ذلك الإيمان الراسخ من عدد الجهاد، ودواعي الفروسية وأسبابها، وهو يفخر بأنه لم يقصر بنفسه أو تجربته القتالية ولا بسلاحه وفرسه، فقد كان على غير غرة منه.

(فالشاعر ينظر إلى مسببات الأسر المعهودة، وهي في نظره ثلاثة أسباب :

١- العزل من السلاح، وهذا دليل على أن الفارس لا يترك أدواته ولا يبتعد عنها ،فهي مصاحبة له لا تفارقه.

٢- عيب في الفرس؛ لصغر سنها وعدم معرفتها بالقتال.

٣- عيب في الفارس.

فلا يجد لتلك الأسباب أثرًا فيما حدث له، فلم يكن أمامه إلا الفرار أو الأسر، فاختار الأسر؛ لأنه لا يرضى بالذلّ الإهانة)[1].

كما يعبر أبو فراس بأنه لما تبين له يوم أسره أن الفرار ينجيه من الموت، فضل البقاء في الميدان، ويقاتل مع قلة من كان معه من الجنود على أن يفر ناجياً، وهذا يؤكد على أن أبا فراس مؤمن بقضاء الله وقدره،و يتناص موقفه في البيت الثاني مع الايه الكريمة، ٹ ڈ چۈ ۇ ۋ ۋ ۉ ۉ ۋ ۋ ېې ې ې د د ئا ئا ئه ئەئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈئې ئې ئې ئى ئى ئى ئدى ى ي ي □ □ □□ □ □ چ[2]، فما أجمل ذلك الإيمان واليقين الثابت وتسليم الأمر لله وما أجمل تلك الفروسية والشجاعة التي لا يتقنها إلا الفرسان مثله!واصفاً حالته تلك في أبياته التي يقول فيها :

وقالَ أصيحابي:" الفرارُ أوالردى؟"   فقُلتُ: هُمَا أمرَانِ، أحلاهُما مُرّ

---

[1] ينظر:الفروسية في الشعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ (دراسة موازنة)، منى بنت بخيّت بن عويبد اللهيبي ،رسالة ماجستير في الأدب والبلاغة والنقد ، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م، ص103-104.

[2] سورة النساء، أيه 78.

وَلَـكِنّني أمْضِي لِمَا لا يَعِيبُني، وَحَسبُكَ من أمرَينِ خَيرُهما الأسْرُ[1]

ثم يذكر أبو فراس حوار أصحابه معه حين يلومونه على أنه باع السلامة بالردى، وردّه عليهم!:

يقولونَ لي: " بعتَ السلامةَ بالردى " فَقُلْتُ: أمَا وَالله، مَا نَالَني خُسْرُ

و هلْ يتجافى عني الموتُ ساعةً ، إذَا مَا تَجَافَى عَنِيَ الأسْرُ وَالضّرّ؟

هُوَ المَوْتُ، فاختَرْ ما عَلا لك ذِكْرُه، فلمْ يمتِ الإنسانُ ما حييَ الذكرُ[2]

فهذه الأبيات توضح مدى فروسية شاعرنا وشجاعته وما قاله أصحابه الذين يوازنون بين الهرب والمقاتلة، ولكن الشاعر أبا فراس اختار المقاتلة حتى لو أدت إلى موته وفقدان الحياة، ولكن يبقى الذكر الحسن والسيرة الشجاعة حيةً لا تموت أبداً .

وقد تعددت صور الفخر لدى أبي فراس، حتى إنه حرص في غزله على الافتخار بنفسه وبشجاعته، معبراً عن مواجهته لمعارك قاسية، نتج عنها إصابة بقي أثرها على خده، ورغم كل ذلك يفخر أبو فراس قائلاً:

ما أنسَ قولتهنَّ ، يومَ لقيني : " أزرى السنانُ بوجهِ هذا البائسِ! "

قالتْ لهنَّ ، وأنكرتْ ما قلنهُ : أجَمِيعُكُنّ عَلى هَوَاهُ مُنَافِسِي؟

إني ليعجبني إذا عاينتهُ ، أثرُ السنانِ بصحنِ خدِّ الفارسِ[1]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ،ص 213

[2] المصدر السابق، ص 213.

ونلاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر اعتمد على فكرة الفخر والتأكيد على إبراز شخصيته في ذهن الآخرين بوصفه فارساً وبطلاً وأميراً وغيرها، ويبدو من خلال الحوار الجميل في الأبيات فخره وأنسه بما قالته محبوبة الشاعر وصويحباتها اللائي يرين أن سنان الرمح قد أزرى بوجه هذا العظيم وأسمينه بالبائس المصاب بينما هو في نظر محبوبته شيء آخر، فهي منكرة قولهن بالرد عليهن بأنه صاحب وجه جميل وترى عكس ما ذكرته الفتيات بقولها: (**يعجبني أثرُ السنانِ بصحنِ خدِّ الفارسِ)** وهكذا ترى محبوبة الشاعر بأنه أثر جميل أصاب الفارس الشجاع، وليس الأمر كما قلن **(أزرى السنانُ بوجهِ هذا البائسِ)**، كما أن إعجاب الشاعر وفخره بنفسه وبشجاعته على الرغم مما أصابه من أثر السنان الذي أصاب خده، وذلك دليل على قسوة المعركة، ويعدُّ انتصاراً له .

ويبرز فخره بفروسيته، وذلك بوصف نفسه بصفات الفارس العربي النبيل، الذي حين تشتد وطأة المعركة وتقوى يكون الصبور، الوقور، القؤول على الرغم من سيوف الأعداء وأحداث الزمن والموت الذي يدور حول الشاعر ويحيط به من كل مكان وله جيئة من هنا، وذهاب من هناك فها هو ذا يقول:

صبورٌ ولوْ لمْ تبقَ مني بقية قؤولٌ ولوْ أنَّ السيوفَ جوابُ

وَقورٌ وَأَحداثُ الزَمانِ تَنوشُني وَلِلمَوتِ حَولي جيئَةٌ وَذَهابُ[2]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص 232.

[2] المصدر السابق، ص22.

يتجسد الإيمان بقضاء الله وقدره في أبياته ويدفعه دفعاً لخوض غمار الغمم التي كشّفها بشبا الظبا، وتوقد الخرصان كما يقول متفرداً لا يعتمد إلا على خالقه، ثم على جواده وسيفه ،وها هو ذا يقول في ذلك :

هذا، وكم من غمةٍ كشَّفتُها بشَبَا الظُّبَا، وتوقد الخِرْصَانِ

متجرداً فردا بغير مساعد غيرِ الجواد، ومرهفٍ وسنانِ

فإذا بطشتُ بطشتُ ليثاً باسلاً وإذا نطقتُ نطقتُ عن تبيان

وإذا قصدتُ لحاجة، لم يُثنني خوفُ الردى،وتصرف الأزمان[1]

وهل لمن كان له إيمان كهذا الإيمان أن يخاف الردّى أو يخشى تصرف الأزمان –كلا والله – ويصف أبو فراس جواده الذي يراه إحدى عدد القتال عنده قائلاً مفتخراً :

وجرشع عالي التليل آفقه خاطي مجال الدفتين ناهقه

عبل الشوى، تقاربت مرافقه أنجبه وجيهه ولاحقه

ضافي القرا عناقه عنائقه تحسبه،إذا علاك فائقه

يمشي بجزع مشرفٍ غرانقه نعم الفتى يوم الوغي مرافقه[2]

يخبر الشاعر بصفات فرسه مفتخراً به، ففرسه"ضخم طويل العنق، سمين الجبين، مكتتر الأطراف، تتقارب مرافقه، طويل الظهر، يشبه الغرانق، وهو طائر ضخم يشبه به ظهر الجواد "[3].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص415.

[2] المصدر السابق، ص264.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، ط3، بيروت: دار المعرفة، 1427هـ -2006م، ص176.

وتغنى الشاعر بجواده هو تغنٍ بنفسه ولاشك في ذلك فصاحب هذا الجواد وفارسه لابد أن يكون شجاعاً عظيما.

ويطول وصف أبي فراس لجواده، ويطول معه نفس هذا الشاعر الفارس المقدام فيقول في موضع آخر:

يُصَانُ مُهرِي لِأمرٍ لا أبوحُ بِهِ، والدرعُ ،والرمحُ ، والصمصامةُ الخذمُ[1]

يفخر أبو فراس في شعره ويباهي باهتمامه ومحافظته على فرسه.

ومن كل الشواهد الشعرية السابقة يتضح لنا جلياً تجسيد هذا الشاعر الفارس لفروسيته وشجاعته من خلال نفسه الأبية العزيزة، ومن خلال إيمانه الراسخ بقضاء الله وقدره، ومن خلال حيائه الجم حتى في مواجهة نساء أعدائه اللائي رددنه عن غزوهن ببراقعهن،وخمرهن ومن خلال سيفه، ورمحه، وجواده، هذه العدد القتالية التي طال حديث الشاعر عنها، وطال تغنيه بها هذا التغني الفروسي الجميل الجليل في آن واحد، كما أن للأسر يداً في إبراز قوة شاعرية الشاعر وجعلها ممزوجة بين شعرية السيف وشعرية القلم، فقد "كان له الأثر في مد شاعريته وإخصابها بدفق جارف من الأفكار، والموضوعات، والصور، والأحاسيس، التي كادت أن تمثل مرحلة الذات عند الشاعر، ومرحلة الجماعة أيضاً "[2].

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ،ص348 .

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ط5، لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية2003م، ص8.

المبحث الثالث: الفخر بتعدد انتصاراته وكثرة مواقعه الحربية:

تعداد المواقع له أهميته ومكانته البالغة عند الشاعر الفارس، و"للشعراء في هذا عدة أساليب، فمنهم من يسجل المكان بوصفه ظرفاً لحدث شهده، ومنهم من يستحضره تاريخياً ليفاخر به غيره أو للتحسر على الماضي، أو دعوه للسلم ونبذ الحرب"[1].

لكن عندما تكون المواقع والأماكن مليئة بالأحداث والتحديات التي تشهد بانتصارات وأمجاد عظيمه، يكون الداعي للفخر بها كبير، وهذا ما فعله أبو فراس؛ إذْ لم يخلُ ديوانه من قصائد ذكر فيها أسماء البلدان التي كانت بها مواقعه الحربية، ولأن الفخر يشكل أهم الأغراض التي تناولها أبو فراس فقد افتخر بالأماكن والمواقع وجعلها شاهده له ولانتصاراته الحربية .

واستدعى أبو فراس بعض الوقائع والغارات التي شكلت مفترق طرق في العصر الإسلامي، وكانت ذات مكانة شهدها التاريخ عبْر العصور الإسلامية، مثل معركة اليرموك التي انتصر فيها جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على جيش الروم، وجعل منها جسراً يعبر به إلى تلك الأمجاد، قائلاً :

والمسلمون ، بشاطئ" اليرموك" ل مَّا أحرجوا، عطفوا على"باهان "[2]

كأنه يمهد بذكر معركة اليرموك لذكر معاركه هو شخصياً،وكأنه امتداد لقادة المسلمين في هذه الموقعه أمثال خالد، وأبي عبيده، والمثنى بن حارثه، وعكرمه بن أبي

[1] استدعاء الرمز المكاني في الشعر العربي القديم، أبو القاسم رشوان، ط1،جامعة القاهرة، مكتبة الآداب، 1995م، ص33.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص412.

جهل، وغيرهم فإن ذلك التمهيد يعدُّ مدخلاً طبيعياً للحديث عن معاركه ومواقع انتصاراته الحربية .

والفخر بالمواقع التي انتصر فيها أبو فراس يعُد ملجأ يعتز به أبو فراس ويزهو، فقد كان شاهداً لبطولاته وجولاته، فها هو ذا يفتخر بتحقيق الانتصار على الأعداء من الروم، معبرا عن افتخاره بذكره لأحداث المعارك والحروب، مستهزئا بخصومه وخاصة ملك الروم (الدمستق)، ومتغنياً بالأماكن التي انتصروا فيها على أرضهم، في أبيات قال في أولها :

أتَزْعُمُ، يا ضخمَ اللّغَادِيدِ، أنّنَا وَنحن أُسودُ الحرْبِ لا نَعرِفُ الحرْبَا

في الأبيات السابقة استهل الشاعر أبياته باستفهام إنكاري يستنكر فيه ضعف العرب واقتصارهم على الأقلام والشعر، واستخدام أبو فراس لأسلوب النداء للفت الانتباه والانتقاص منه ومن شكله الجسدي، ثم يهزأ به ساخراً منه قائلاً :

فويلكَ؛منْ للحربِ إنْ لمْ نكنْ لها ؟ ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا؟[1]

فها نحن أولاء نرى ونسمع توعد أبي فراس للدمستق وتهديده إياه بقوله:" ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا " بأن أبا فراس معاصر للحرب منذ صغره، كما يكمل فخره واستهزاؤه من عدوه قائلاً :

و منْ ذا يلفّ الجيشَ منْ جنباتهِ؟ ومنْ ذا يقودُ الشمَّ أو يصدمُ القلبا؟[2]

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ،ص36.

[2] المصدر السابق، ص36.

يستكمل أبو فراس مفتخراً بشجاعة مصوراً الالتفاف على العدو، بل إنه يحبط جيش العدو ويخترقه، فهو يلف ويخترق عدوه في وقت واحد مع سرعته وشجاعته في اختراق الصفوف، ومما لاشك فيه أن وصف أبي فراس لشجاعته وإقامة الحجة على عدوه أكبر دليل على علمه ودرايته بأمور الحرب، ثم يُذكِّر الشاعر الإمبراطور الرومي بما خلفته الحرب من آثار بأقربائه تاركة لهم علامات على وجوههم وأرجلهم قائلاً :

وويلكَ؛منْ أردى أخاكَ " بمرعشٍ"[1] وَجَـلّلَ ضرْباً وَجهَ وَالدِكَ العضْبَا؟

وويلكَ منْ خلَّى ابنَ أختكَ موثقاً؟ وَخَلاّكَ بِاللَّقَّانِ[2] تَبْتَدِرُ الشِّعبَا؟ [3]

وهكـذا يتغـنى أبـو فـراس بـذكر " مـرعش " و" اللقـان " في معـرض ردِّه علـى الدمسـتق؛ ليـدحض اعتقـاده الخـاطئ واعتقـاد الـروم بجهـل العـرب بالحـرب وقصـرهم علـى الأدب، فاسـتدعى موقـع المكـان ليؤكـد أن العـربي فـارس أصـيل تشـهد لـه الأرض في أي مكـان، وذكـر" مـرعش " و" اللقـان "ليـؤرخ لشـجاعته وشـجاعة رجالـه أمـام أعـدائهم مـن الروم ضخام اللغاديد الذين أترفتهم الحياة فأفسدت رجولتهم.

وتأكيـده علـى أنـه ورجالـه أسـود مـع اسـتخدام كلمـات مثـل (فويلـك) وتكرارهـا مـرات كثـيرة فيـه مـا فيـه مـن إصـرار علـى الفخـر بالنصـر، وتـذكيره الدمسـتق بضـرب وجـه والـده العضـب فيـه مـا فيـه كـذلك مـن تجسـيد للقـوة والشـجاعة إمعـاناً في الفخـر والاعتـزاز بهذه الشجاعة، وتلك القوة .

(1) "مدينة بالثغور بين بلاد الشام والروم " ،معجم البلدان، للشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، بيروت: دار صادر، 1397هـ-1977 م، 5/ ص107.

(2) "بلد بالروم وراء خرشنه "، المصدر السابق ،5/ ص21 .

(3) ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ، ص36.

ولا يزال أبو فراس يفخر بذكر الأماكن حتى بعد أسره،متعالياً على جراحه مخففاً هول الأسر عليه، فهو يذكر" خرشنة" التي طالما أحاط بها مغيراً، فلا يهمه أبداً أن زارها اليوم أسيراً، وذكره لماضيه المضيء مع حاضره بعد الأسر يوحي باستشعاره القوة، والإحساس بنشوة النصر التي لم يقلل من الأحساس بها وقوعه في الأسر، فيقول :

إنْ زُرْتُ"خَرْشَنَةً"[1] أسِيرَا فَلَكَمْ أحَطْتُ بها مُغِيرا

وَلَقَدْ رَأيْتُ النّارَ تَنْ تَهِبُ المَنَازِلَ وَالقُصُورَا

وَلَقَد رَأَيتُ السَبْيَ يُج لَبُ نَحوَنا حُوّاً وَحورا

نَختارُ مِنهُ الغادَةَ ال حَسناءَ وَالظَبيَ الغَريرا

إن طالَ لَيلي في ذُرا كِ فَقَد نَعِمتُ بِهِ قَصيرا

وَلَئِن لَقيتُ الحُزنَ في كِ فَقَد لَقيتُ بِكِ السُرورا

وَلَئِن رُميتُ بِحادِثٍ فَلَأُلْفَيَنَّ لَهُ صَبورا

صَبراً لَعَلَّ اللَهَ يَف تَحُ بَعْدَهُ فَتحاً يَسيرا

مَن كانَ مِثلي لَم يَبِت إلّا أَسيراً أَو أَميرا

لَيسَت تَحُلُّ سَراتُنا إلّا الصُدورَ أَوِ القُبورا [2]

[1] بلد قريب من بلاد الروم ، معجم البلدان، لشهاب الدين الحموي ،مرجع سابق، 2/ص359 .

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص208 -209.

ويبدو أن استخدام أبو فراس للفعل "زرت "، يدل على أنه لا يرى المكان إلا بعين الزائر، ويدل كذلك على ثقته في الله سبحانه وتعالى ثم في ابن عمه سيف الدولة الذي سيسارع بلا شك في تخليصه من هذا الأسر بافتدائه ومن معه من أسرى المسلمين، كما يؤكد في أبياته فخره واعتزازه بالأماكن التي شهدت انتصاراته الكثيرة، راسما لنا صورته الحربية أيام أغار على خرشنه فأحرق القصور وسبى الحور، فلا بأس أن يؤسر فيها، بل إنه صبور، فهو إما أسير أو أمير،و يبدو من الأبيات أنه قالها ليخفف من ألمه في السجن أيضا ،فيقول أن الفرج قريب، كما يجد في كفاحه لذة الفخر التي تكسبه انتصارا أمام الأهوال .

كما يقول أبو فراس مفتخراً بعد مناظره جرت بينه وبين الدمستق ملك الروم :

تأملني " الدمستقُ " إذ رآني، فَأبْصَرَ صِيغَةَ اللّيْثِ الهُمَامِ

أتُنكِرُني كَأنّكَ لَسْتَ تَدْري بِأني ذَلِكَ البَطَلُ المُحَامي

وأني إذْ نَزَلْتُ عَلى"دُلُوكٍ "[1]، تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتّصِلِ النّظَامِ [2]

ففي الأبيات السابقة يفخر الشاعر متعالياً بقوته وفروسيته أمام أعدائه، كما نجد الثقة التي يتميز بها أبو فراس الحمداني الفارس البطل الأصيل، فيفتخر أمام عدوه بذكر مناقبه،حتى إنّ خصومه أيضا يرونه بعين الفارس الأسد الشجاع، ويمتد أثره على عدوه في تفريق صفوفهم، فلاشك في أن هذا كله يؤثر سلباً على نفسية العدو ويحط منها.

(1) "بليدة من نواحي حلب بالعواصم ،كانت بها وقعه لأبي فراس بن حمدان مع الروم .. " ، معجم البلدان ، لشهاب الدين الحموي ،2/ ص 461.

(2) ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص372.

ويتغنى أبو فراس كذلك بذكر المواقع التي تشهد لهم بالشجاعة والبسالة، وسعة نفوذهم، مستخدماً صيغة الجمع قائلاً :

نَمُدّ بُيُوتَنَا، في كُلّ فَجٍّ، بِهِ بَينَ الأَرَاقِمِ وَالصِّلالِ

نعافُ قطونهُ ، ونملُّ منهُ، وَيَمْنَعُنَا الإبَاءُ مِنَ الزِّيَالِ

مخافةَ أنْ يقالَ، بكلِ أرضٍ: بَنُو حَمْدَانَ كَفّوا عَن قِتَالِ [1]

وقول أبي فراس في الأبيات السابقة، (بيوتنا، كل فج، الأراقم، الصلال)، بصيغة الجمع،ليدل دلالة قاطعة على سعة نفوذهم من خلال المعارك والانتصارات التي حققوها .

ويتكرر ربط الماضي بالحاضر كثيراً عند أبي فراس، فلا يستطيع الأسر أن يُـنْسيَهُ غزواته العظيمة وانتصاراته العديدة وإشعاله النار في ديار الروم، فيقول :

وأسرتُ في مجرى خيولي غازياً وحبستُ فيما أشعلتْ نيراني

يرمي بنا،شطرَ البلادِ ، مشيعٌ صَدْقُ الكَرِيهَةِ،فائِضُ الإحسانِ

بَلَدٌ، لَعَمْرُكَ ، لَمْ أزَلْ زَوّارَهُ معَ سيدٍ قرمٍ أغرَّ هجانِ

إنّا لَنَلْقى الخَطْبَ فِيكَ وَغَيرَهُ بموفقٍ عندَ الخطوبِ،معانِ

وَلَطَالَمَا حَطّمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ، وَلَطَالَمَا أرْعَفْتُ أنْفَ سِنَانِ

وَلَطَالَما قُدْتُ الجِيَادَ إلى الوُغى قُبَّ البُطُونِ ، طَوِيلَةَ الأرْسَانِ

وأنا الذي ملأَ البسيطةَ كلها ناري، وطنَّبَ في السماءِ دخاني [2]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص282.

[2] المصدر السابق ، ص408 -409 .

وهكذا يفخر أبو فراس بأنه أسر بعدما أبلى في حروبه مع الروم بلاءً حسناً ،فمكان أسره هو نفسه مجرى خيوله حين كان غازياً، ومكان حبسه هو المكان الذي طالما أشعل فيه نيرانه حين كان منتصراً على هؤلاء الأعداء من الروم، كما حصر أبو فراس الأماكن بأفعال الحصر بقوله:(أسرتُ – حبستُ) مع أن الفعل يتنافي مع مكان الحدث، وذلك جعل أبو فراس يتذكر المكان رغم دلالة الفعل المناقضة له ،فأسره وهو محاربٌ لأعدائه غازيا ، لهو أكبر فخر وعز لأبي فراس ، على الرغم من أنه حبس في ذات المكان الذي حدث فيه الدمار والاشتعال الذي لحق عدوه.

فمن خلال الأبيات السابقة استطاع الشاعر أن يعبر عن فخره واعتزازه بالمكان والحدث اللذينْ يشهدان على شجاعته وبسالته وعدم هروبه وتوليه، كما لا يمل أبو فراس من ذكر أرض الروم وما دار فيها من معارك مفتخراً، قائلاً :

وأوقع في "جلباط"[1] بالروم وقعة — بها العمق اللكام والبرج فاخر

وأوردها بطن اللقان وظهره — يطأن به القتلى،خفاف حوادر

أخذن بأنفاس "الدمستق" وابنه، — وعبرن بالتيجان من هو عابر!

وجبن بلاد الروم ستين ليلة، — تغاور ملك الروم، فيمن تغاور

تخر لنا تلك المعاقل سجدا، — وترمي لنا بالأهل تلك المطامر[2]

[1] "ناحية بجبل اللكام بين انطاكيه ومرعش كان وقعة بين سف الدولة والروم افتخر بها أبو فراس "، معجم البلدان، لشهاب الدين الحموي، 150/2

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص117.

يعبر الشاعر في الأبيات السابقة مستلهماً من "**جلباط** " وما دار فيها من أحداث، مفتخراً بانتصارهم على الروم وهزيمتهم ولا سيما في أرضهم، و أمام قائدهم ملك الروم الدمستق وابنه، كما يفخر قائلاً مع أننا في أرضهم لكن حتى المعاقل كانت تحت سيطرتنا، وجميل قول الشاعر للأفعال (تخر – ترمي)،فهي تصور ما بلغه الأعداء من مهانه وذل، إذ أن معاقلهم تخضع لبني حمدان وتقدم لهم ما تحتويه من سبايا وأرزاق واستخدام الشاعر للفعل "تخر" من (خرّ) فيه كمال الذل والخضوع الذي قصده الشاعر كما ٹ ڈ چ پ ڈ ڈ چ[1].

ويتغنى أبو فراس في موضع آخر بأسره " قسطنطين "ابن الدمستق وبفرار والده هارباً من أرض المعركة ،تاركاً ولده على الرغم من حبه إياه، ولكن خوفه من الوقوع في أسر المسلمين دعاه إلى ذلك الفرار، وفيه ما فيه من فخر وسخرية من الروم بتصويره للدمستق ملكهم بهذه الصورة الساخرة، فكأنه كان يربي ولده؛ ليفتدي به في مثل هذه المعارك .

وابْن بقسطنطين وهو مُكبَّلٌ تحفُّ بطاريق به وزَرَاور

وولَّى على الرسم الدمستق هاربًا وفي وجهه عُذرٌ من السيف عاذِر

فدى نفسهُ بابنٍ عليه كنفسهِ، وللشدة الصماءِ تُقني الدخائرُ !

وقد يُقطع العضو النفيسُ لغيرِه، وتدفع بالأمر الكبير الكبائرُ![2]

[1] سورة ص ، أيه 24.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص118.

ويطول نفس أبي فراس فيتغنى بالانتصارات التي حققوها على الأعداء من الروم، لاسيما أن ما كان في موقعة الحدث[1]، فقد كان مناط فخر لأبي فراس، حيث يقول:

وَحَسبي بِها يَومَ الأَحَيدِبِ[2] وَقعَةً عَلى مِثلِها في العِزِّ تُثنى الخَناصِرُ

عَدَلنا بِها في قِسمَةِ المَوتِ بَينَهُم وَلِلسَيفِ حُكمٌ في الكَتيبَةِ جائِر

إِذِ الشَيخُ لا يَلوي وَنَقفورُ مُجحِرٌ وَفي القَيدِ أَلفٌ كَاللُيوثِ قَساوِر

وَلَم يَبقَ إِلّا صِهرُهُ وَاِبنُ بِنتِهِ وَثَوَّرَ بِالباقينَ مَن هُوَ ثائِرُ[3]

وهكذا يشيد الشاعر بكل فخر بانتصار ابن عمه سيف الدولة على الروم في جبل"الأحيدب"، ويصف ما حل بالأعداء من هروب لقائدهم،حيث لم يبق إلا صهر الدمستق –قائد الروم – وابن بنته، وقرابات له،فاستبقاهما سيف الدولة وقتل الباقين[4]، كما يؤكد الشاعر دائماً على قوة وشجاعة المسلمين، ولاسيما شجاعتهم على الروم وفي أرضهم، فيفتخر بالانتصار الذي حققه المسلمون بصورة أخرى قائلاً :

سل أهل خرشنة[5] تجبك نساؤهم كم ثاكل منها، وكم من أيم ؟

---

(1) قال ابن خالوية " ولما لحق الدمستق ،ما لحقه ، وابنه ، وابن أخيه ، ومات ابنه في حبس سيف الدولة ، وهو أي (الدمستق) نازل على " الحدث" بينهما ، فلما أشرف على الأحيدب وهو جبل مطل عليها هال المسلمين ما رأوا، وتسللوا عن سيف الدولة ، وذلك أن الدمستق قد جمع الروم ، والأرمن ، والروس ، و...، ضد سيف الدولة ، وكان في عدة يسيره مما بقي معه ، فحمل عليهم سيف الدولة فيمن ثبت معه ..، فأنزل الله عليهم النصر والصبر ، فولى الدمستق هارباً واسر صهره ..، فاستبقاهما سيف الدولة وقتل الباقين .ينظر ، ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح د. خليل الدويهي ، ص142-143.

(2) جبل في ديار بني فزاره ، معجم البلدان ، لشهاب الدين الحموي ، 1/ص 109.

(3) ديوان أبو فراس الحمداني ،ت: سامي الدهان، ص118 وما بعدها .

(4) ينظر:المصدر السابق، ص145.

(5) سبق التعريف بها ، ص42.

عهدي بها ، والنار في جنباتها ، وكأنها صدر المشوق المغرم

كم ذاتِ حَجلٍ،ما رأها الناس،قد برزت لأعينهم ، بأنفٍ مرغمِ !

خُطبت بحد السيف حتى زُوجت، كرهاً، وكان صِداقُها في المقسمِ

بانت ، وصاحبها بعرسٍ حاضرُ، يُرضي الإله ، وأهلها في مَأتمِ[1]

يفخر أبو فراس بقوة المسلمين وشجاعتهم، ويسخر من الروم أعدائهم بقوله: سل نساءهم وكأنه يقول: لم يبقَ فيكم رجال نسألهم ، وأننا تركن النساء في دياركم بين ثكلى وأيم، واشتعال النار في جنبات البلدة (خرشنه) وكأن جنبات هذه البلدة هي صدر المشوق المغرم الذي تضطرم فيه نار الحب، ويشتعل فيه لهيب الشوق، ثم يستهزئ بنسائهم بقوله (كم ذات حجل)، وفي قوله كناية عن المرأة التي تلبس الحجل، أي الخلخال، التي لم يروها وإن ظهرت لهم، تكون مجبرة رغماً عنها، وعندما تخطب وتتزوج تكون كارهة لذلك، ولاشك في أنَّ ما في الأبيات من سخرية واستهزاء بالروم تجسيد لشجاعة أبي فراس ورجاله وبسالتهم وفي مقدمتهم سيف الدولة.

ويستمر فخر أبي فراس واعتزازه، مستعرضاً شجاعته وانتصاراته،مستثمراً المواقع الحربية التي دارت فيها المعارك،وما تحققه خيوله من بطولات وأمجاد أمام الأعداء ،ولاسيما في أرضهم، قائلاً:

ألم تخبرك خيلي عن مقامي بـ "بالس"[2] يوم ضاق بها المقام !

وولت تَتَّقي بعضاً ببعضٍ ، لهم_ والأرض واسعة _ زحامُ

[1] ديوان أبو فراس الحمداني ،ت: سامي الدهان ، ص378.

[2] بلدة بالشام بين حلب والرقة، معجم البلدان، 1/ ص328.

سروا والليل يجمعنا، ولكن يبوح بهم، ويكتمنا الظلامُ

إلى أن صبحتهم بالمنايا كرائم ، فوق أظهرها كرامُ

من العرشات تلحق ما رأته إذا طلبت ، وتعطي ما تسامُ

تنازع بي وبالفرسان حولي تجلفهم، كما جفل النعامُ[1]

يؤكد الشاعر في الأبيات السابقة من خلال استفهامه الذي يفيض بالفخر والقوه والثقة والاعتزاز بتحقيق الانتصارات على الأعداء، ناسجاً من خيله صورةً تفيض بكل معاني القوه والشجاعة، على ما تحققه في مواقع وأراضي الأعداء الواسعة لكنها ضيقه أمام خيله؛ لما يمتاز به من خفة وحركة، مدافعة عنه أمام الأعداء كما تجعلهم فارين هاربين خوفاً كما يهرب النعام.

ويقول أبو فراس عندما اجتمع عليه قوم من العرب، ومنهم "كثير بن عوسجه "و " جُمهان بن عرفجه " وغيرهما، فقاتلهم وقتلهم [2]، فقال:

سلي عنا سراة "بني كلاب " ب "بالس" عند مشتجر العوالي !

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ كفين مؤونة الأسلِ الطوالِ

وَوَلّى بِ"اِبنِ عَوسَجَةٍ كَثيرٍ" وَساعُ الخَطوِ في ضَنكِ المَجالِ

يَرى" البَرغوثَ"إِذ نَجّاهُ مِنّا أَجَلَّ عَقيلَةٍ وَأَحَبَّ مالِ

تَدورُ بِهِ إِماءٌ مِن قُرَيظٍ وَتَسأَلُهُ النِساءُ عَنِ الرِجالِ!

[1] ديوان أبو فراس الحمداني ،ت: سامي الدهان ، ص 316

[2] المصدر السابق ، ص305.

يَقُلنَ لَهُ : السَلامَةُ خَيرُ غُنمٍ! وَإِنَّ الذُلَّ في ذاكَ المَقالِ

وَ"جُمهانٌ " تَجافَت عَنهُ بيضٌ ، عَدَلنَ عَنِ الصَريحِ إِلى المَوالي

وَ عادوا سامِعينَ لَنا فَعُدنا إِلى المَعهودِ مِن شَرَفِ الفَعالِ

وَنَحنُ مَتى رَضينا بَعدَ سُخطٍ أَسَونا ماجَرَحنا بِالنَوالِ[1]

يشير الشاعر إلى تلك الوقعة في الأبيات السابقة مفتخراً بهزيمة قبيلة "كلاب " ببالس بعد أن أوقع بها سيف الدولة وشردها[2]، ويقول لمن أراد أن يعرفنا، يسأل عنا بني كلاب عندما قاتلناهم،كما يصف حالهم في القتال عندما هرب أعداؤهم (كثير بن عوسجه) وغيره هاربين مسرعين من المعركة، كما يفخر أبو فراس بانتصارهم وقوتهم عندما قالت الإماء حينما رأينه عائداً تسأله عن الرجال، وفي سؤال النساء سخريه وإهانه له .

كما يجدر بي أن أقف لأوضح الخيط الذي يفصل بين المباحث الثلاثة لهذه القصائد، وما تناولته في المبحثين الأول والثاني،فليس هناك تناقض بينهما، فإن الرؤية الأولى في المبحث الأول (الفخر بقبيلته)، والمبحث الثاني (الفخر بفروسيته)، هما بمثابة مستوى أول وثانٍ للدراسة، بينما الرؤية في هذا المبحث (الفخر بتعدد انتصاراته وكثرة مواقعه الحربية) أكثر عمقا أي تفسر تلك المواقف التي يفخر بها الشاعر بنفسه وبقبيلته، كما أن هذا المبحث أراه يعبر عن فخره وانتصاره مستشهداً ومجسداً بالمكان

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان،ص 306-307.

[2] ينظر :عصر أبي فراس الحمداني، يوسف بكار، د.ط ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م، ص71.

والموقف، فخره وتحقيقه هو وقبيلته للأمجاد ،من خلال الدفاع عن أنفسهم أمام الأعداء، وما دار بينهم من معارك قاسيه.

وهكذا فإن ذكر أبي فراس للمواقع الحربية التي انتصر فيها، وتغنّيه بها له دلالته الخاصة على استشعاره حلاوة النصر، كما تتعدد صور الانتصارات التي حققها الشاعر وقبيلته، سواء أكانت في رده على الأعداء والاستهزاء بهم وتذكيرهم بما حققوه من انتصارات مفتخرا معتزا، ولاسيما في أرضهم،أم كانت حينما يتذكر انتصاراته ويتغنى بها مفتخرا رغم أسره وألمه، ولم يقتصر افتخار أبي فراس على ذكر المواقع التي انتصر فيها، بل حتى بعد أسره وحبسه نراه يفتخر بها ،على أنها كانت شاهده على انتصاراته السابقة، وغزواته المتلاحقة، فكان لذكره هذه المواقع طعم خاص يجعلنا نتذوق معه حلاوة النصر، ولم يتركنا نذوق طعم أسره المرّ إذ أنه في أسره لا يزال قوياً أبياً يستشعر عظيم الثقة في خالقه سبحانه، وفي إيمانه بقضاء الله وقدره ثم في ثقته كذلك في أن ابن عمه سيف الدولة لن يتوانى عن التعجيل بافتدائه وافتداء من معه من أسرى المسلمين.

وهكذا تؤدي الشواهد الشعرية دورها في تسجيل صور الانتصار في ديوانه، و ما ذكر فيها في هذا الفصل كان على سبيل المثال لا الحصر،كما أنه لم يفرد قصائد للفخر، وإنما كانت ممزوجة بأغراض أخرى، ويؤكد أبو فراس لو انه حاول رصد مفاخر آبائه والوقائع لا يمكن حصرها، إذْ لاحدود لها، ولم تسعه الكتب، ويذكر قائلاً : "مفاخر آبائي وأجدادي، أكثر من أن يجمعها شعري، فقد اضطررت إلى ذكر الوقائع المشهورة والعساكر الجامعة، فلم أذكر من الوقائع إلا ما كان بقبائل بأسرها، فلو عددت ما عددت العرب أمثاله، مثل: يوم (رحرحان)، ويوم (فيف الريح) ، ويوم

(شعب جبله)، لعددت مالا تسعه الكتب، فاقتصرت على ما ذكرت، والفضل مشترك "[1].

و لقد " سلك أبو فراس في فخرياته مسلك الأقدمين من الشعراء، فاستهل قصيدته بالمقدمة التقليدية ناهجاً نهج القصيدة العربية منذ جاهليتها، إلا أن مقدماته اختلفت من حيث التخفف من أسماء المواضع والأشخاص والاتصاف بالرقة والسهولة " [2]، ولعل أبرز ما يميز أبا فراس في فخره، انه اتسم بالواقعية والبعد عن الخيال، و"فخره يمتلئ بالحيوية لأنه يصور فيه واقعاً لا وهماً من أوهام الخيال" [3].

وأتفق مع من يقول:إن "صور الفخر التي تغنى بها أبو فراس كلها صور من القوه، بحيث ترسب في قرار النفوس، ومن الروعة بحيث تعبر تعبيراً صادقا عن نفسية قائلها،وعن صدق إحساسه، فإذا ما فخر بالقوة والمنعة وقيادة الجيوش، وتحطيم الأعداء فقد كان كذلك، وإذا ما فخر بالإمارة والسيادة، وكرم المولد، وإذا ما فخر بالكرم والفصاحة والبلاغة فهذه آشاره تدل عليه" [4]، وكذلك أتفق مع من يقول: بأن أبا فراس" كانت قصائده في هذا الباب تعداد مفاخر تزخر بعواطف الزهو والمجد، وينفخ فيها نفس عال فيه من الكبرياء والعزة القومية الشيء الكثير" [5].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني ، سامي الدهان ،ص102.

[2] الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني،سعود محمد عبد الجبار،بيروت:مؤسسة الرسالة،1401هـ-1981م،ص182.

[3] الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لشوقي ضيف، ط 9، مصر: دار المعارف، 1976م، ص352.

[4] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د.مصطفى الشكعه، مرجع سابق، ص265.

[5] الفخر و الحماسة، حنا الفاخوري،مرجع سابق، ص33.

الفصل الثاني

من صور الانكسار في شعر أبي فراس الحمداني

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عتاب الشاعر لابن عمه سيف الدولة

المبحث الثاني : رسائل الشاعر لأمه العجوز من خلال شعره

المبحث الثالث : تذكر الشاعر لمجده السابق من خلال شعره

تولد الظروف الحياتية السلبية المتراكمة المرة ما يسمى بالانكسار ولا سيما أن الظروف التي مر بها "أبو فراس" وهو في أسره فتحت شاعريته، وكانت تجربة ثرية له، فبدأ يصف معاناته وحالته معبراً عنها بعدة صور تمثل تجربته في الأسر فهي تجربه فريدة، أثرت الكثير من شعره فنتج من أسره عدة صور سواء أكان مفتخراً معتزاً بانتصاراته الماضية، أم معتزاً بقومه وتاريخهم المجيد حتى بعد أسره، لكـن مرارة الأسر وصعوبته حملت الشاعر الكثير من الصور النفسية الحزينة التي انعكست ألماً ويأساً على شعره وكانت تتجاوب من خلالها أصداء نبرات الحزن والألم، فـكانت" الصورة تنطق بعنت الأسر وقسوته وعتوه، وبألم المأسور وعجزه وشقائه ، فإن المعنى الداخلي لكلمة أسر أبلغ مضموناً وأقوى إفصاحاً في بيان حقيقة الكلمة"[1].

والانكسار عند أبي فراس الحمداني موضوع له عدة صور، قبل أن نعرض بعض تلك الصور ونحللها، يجمل بنا الوقوف عند المعنى اللغوي للفظ الانكسار، فالانكسار يعني: " أن كل من عجز عن شيء فقد انكسر عنه وكل شيء فتر عن أمر يعجز عنه يقال فيه انكسر ..." [2].

ومن خلال المعنى السابق نستطيع أن نجمل صور الانكسار في شعر أبي فراس في عدة صور:

– عتابه لابن عمه سيف الدولة وعجزه عن الخلوص من الأسر مع استمرار طلب الفداء من ابن عمه.

– انكساره أمام أمه وعدم قدرته على تحقيق حلمها في خروجه من الأسر.

– عجزه عن إرجاع الأيام الماضية، وذلك بتذكر مجده السابق، والحنين لتلك الأيام.

---

[1] الأسر والسجن في شعر العرب(تاريخ ودراسة)،د .أحمد مختار البرزه،ط1، مؤسسة علوم القران ، دمشق: 1405هـ – 1985م، ص21.

(2) سبق التعريف به في التمهيد، ص9.

وتلك الصور التي اخترتها لتمثل جانب الانكسار في شعر أبي فراس الحمداني قد تتفق مع صور وقصائد أخرى في المضمون نفسه، لكنني اخترتها لكونها أقرب إلى صور الانكسار من وجهة نظري؛ وذلك لشيوع نبرة الحزن والألم فيها بشكل لافت لنظر المتأمل فيها ولأنها تترجم – إلى حد بعيد – هذا الإحساس الذي يستشعره الشاعر في أسره ، أعني إحساس الأسى والحزن والألم النفسي العميق .

ويبدو لي أن صور الانكسار عند أبي فراس لم تلحظ على شعره إلا بعد أسره، ولقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن هذا الأسر :

– فمنهم من قال:إنه أسر مرةً واحده سنة351هـ ومنهم ابن خالوية [1].

– وقال أبن خلكان :" وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها , وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه, ونقلوه إلى (خرشنه) ثم منها إلى (قسطنطينية) وذلك سنه: ثمان وأربعين وثلاثمائة, وفداه سيف الدولة في سنه خمسه وخمسين .

قلت : هكذا قال أبو الحسن على بن الزراد الدليمي , وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط , وقالوا : أسر أبو فراس مرتين .

فالمرة الأولى: بمغارة الكحل في سنه ثمان وأربعين وثلاثمائة, وما تعدوا به خرشنه وهي قله في بلاد الروم , والفرات يجري من تحتها , وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات والله أعلم .والمرة الثانية : أسره الروم على (منبج) في شوال سنه إحدى وخمسين وحملوه إلى (قسطنطينية) وأقام في الأسر أربع سنين "[2] .

يقول الثعالبي " لما أدركت أبا فراس حرفه الأدب, وأصابته عين الكمال أسرته الروم في بعض وقائعها, وهو جريح, وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه, وحصل مثخناً (بخرشنة) ثم (بقسطنطينية) وتطاولت مدته بها ..., وقد قيل " على كل نجح رقيب من الآفات "[3].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص145.

[2] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان،تحقيق د . إحسان عباس،2/ص59 .

[3] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر, أبو منصور عبد الملك النيسابوري, ص 85 .

كما أن دراسة الفصل تحاول الكشف عن أجمل صور الانكسار وأروعها ،تلك الصور التي عاشها الشاعر، وذلك من خلال النصوص الشعرية في جانب الانكسار، كما أنها "تصور نفسية أبي فراس أدق تصوير، وتقفنا على تقلبه بين أمواج الرجاء واليأس، والرجاء في العودة إلى الوطن الذي وقف حياته عليه، واليأس من رؤية هذا الوطن كرة ثانية، وبقائه رهين الأسر والقيد، وتعكس زفرات الرجاء واليأس، ووقده العواطف الثائرة، والنفس الأبية، والحنين الجارف الذي كان يتدفق من روح شاعرنا، ليؤلف لحناً في قصة الشاعر ونكبة البطل، وقد امتزجتا فألفتا كلاً متجانساً، ومن ثم خرج العمل الأدبي خلقاً جديداً وضيفاً وجدانياً يزخر بالروح الإنسانية الخالدة، ويفيض بالواقع المعيش" [1].

[1] النقد التطبيقي والموازنات، د محمد الصادق عفيفي ، القاهرة : مكتبة الخانجي، 1398هـ-1978م، ص299.

المبحث الأول : عتاب الشاعر لابن عمه سيف الدولة .

كانت تربط أبا فراس بسيف الدولة صلة قرابة قوية فهو ابن عم الشاعر، ولقد عني سيف الدولة بأبي فراس الحمدانين فقد شمله بالحنان وميزه عن سائر القوم فقد كان معجباً بالشاعر وأخلاقه، وكان يصطحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله، كما أن سيف الدولة " ولاه منبج وحران وأعمالهما جميعاً "[1]، فمنح ذلك أبا فراس كثيراً من القوه والسلطة "فقد كان سيف الدولة يمتلئ فخرا واعتزازا وهو يرى ابن عمه يتفانى في الذود عن ملك بني حمدان ويحمي ذمار ولايته "[2] ، لكن بعد وقوع أبي فراس في أيدي الأعداء لم يخطر على قلبه ولا قلوب أعدائه أن يطول به الأسر ويستمر سنوات،كما أطلق أبو فراس شعره ليعزي نفسه عما أصابه من الواقع الذي مر به وما تركه ذلك الأسر من أثار سلبية في الغالب .

مما دفع هذا الشاعر لأن يراسل ابن عمه بقصائد يحثه فيها على تعجيل الفداء وذلك منذ بداية أسره وطمع أعدائه بافتداء أسراهم بأبي فراس، فأكرموا أبا فراس بإبعاده عن الأسرى وإبقاء ثيابه وسلاحه عليه،ولكن مع كل ذلك أصر سيف الدولة على فداء عام لجميع الأسرى, فتهاوت آمال الشاعر بالفرج, مع إصرار سيف الدولة على ذلك, وبعدها بدأ الشاعر في عتاب ابن عمه سيف الدولة من خلال شعره، الذي امتزج فيه العتاب بالمديح تارة وبالاستعطاف تارة أخرى فلم يكن على وتيرة واحدة فعل كل ذلك لعله يستميل قلب ابن عمه.

وتتعدد مفاهيم العتاب إلا أن العتاب الذي يمثله شعر أبي فراس هو :" من الفنون التي تجيش بالعواطف الزاخرة التي يحملها الشاعر نحو صديق كان بينهما مودة وحب, ثم طرأ على علاقتهما ما شابها وعكر صفوها, فيعمد الشاعر في عتابه إلى لون من المؤاخذة الرقيقة التي

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ،ط2، بيروت: المطبعة البوليسية، 1953م، ص647.

[2] أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية، د.عبد المجيد الحر ، ص43.

يذكر فيها ماضي ودهما ويفصل فيها ما كان يربط بينهما من علاقات طيبه في شيء من التقريع الذي يعنف حيناً, ويرق أحياناً, وقد ازدهر هذا اللون في الشعر حين تشعبت الحياة الاجتماعية وتعددت نواحيها ،ولم يكن العتاب يوجه إلى الأصدقاء فحسب, بل كثيرا ما كان يوجه إلى الأمراء وذوي السلطان وفي هذه الحالة يكتسي بغلاله من المديح الرقيق "[1].

كما" برز هذا الفن الشعري بجلاء في شعر أبي فراس بعد أسره، ولا غرور في ذلك فقد تضافرت عوامل متعددة على ذلك:سجن وأسر, وغربة وبعد الأهل والوطن, وبعد عن المطامح التي كانت تراود أحلامه والميادين التي كان يصول فيها ويجول, مثل الفروسية والكرم وتأخر افتدائه, وتنكر أقاربه وأصدقائه, والأهم من ذلك حالة أمه العجوز التي كانت تعاني من سوء صحتها, وخاصة بعد أن وقع وحيدها بالأسر "[2].

ولقد وجه أبو فراس رسائل شعرية كثيرة في عتاب سيف الدولة, وهذا العتاب " بعضه رقيق يخالطه المديح والاستعطاف،وبعضه عنيف يصل إلى حد التعريض بالأمير "[3].

وإطلاق أبي فراس للعتاب إنما كان ليعبر به ومن خلاله عن الواقع الذي مر به وما تركه ذلك الأسر في نفسه من آثار سلبيه في الغالب، مما جعل العتاب صورة من صور الانكسار لأنه يعبر عن نزعة نفسية تعكس واقع الأسير والحالة التي وصل لها .

وتعددت صور العتاب عند أبي فراس، وذلك تبعا لاختلاف المواقف التي مر بها، وسأقف على بعض الشواهد الشعرية لأبي فراس الحمداني التي يظهر فيها عتابه وطلب فدائه من ابن عمه عندما أرسل أبو فراس الحمداني إلى سيف الدولة يسأله المفاداة في قصيده مطلعها :

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهّدِ لَدَيّ، وَللنّوْمِ القَلِيلِ المُشَرّدِ

---

[1] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، د.مصطفى الشكعة ،مرجع سابق ، ص284.

[2] أبو فراس حياته وشعره, عبد الجليل حسن عبد المهدي ،(د.ط) الأردن – عمان : مكتبة الأقصى ، 1401هـ – 1981م ، ص 295 .

[3]المصدر السابق, ص 296 .

وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالحَيَاة ، وَإنّهَا لأَوّلُ مَبْذُولٍ لأوّلِ مُجْتَدِ

وَمَا الأَسْرُ مِمّا ضِقْتُ ذَرْعاً بحَملِهِ وما الخطبُ مما أنْ أقولَ لهُ :قدِ

وَما زَلّ عَني أنّ شَخصاً مُعَرَّضاً لنبلِ العدى؛إنْ لمْ يصبْ؛فكأنْ قدِ

وَلَكِنّني أخْتَارُ مَوْتَ بَني أبي على صهواتِ الخيلِ ، غيرَ موسدِ

وَتَأبَى وَآبَى أنْ أمُوتَ مُوَسَّداً بأيدي النّصَارَى مَوْتَ أكمَدَ أكبَدِ[1]

في الأبيات السابقة تتضح الحالة النفسية والواقع الأليم الذي عاشه أبو فراس بسبب تأخر ابن عمه سيف الدولة عن فدائه، فهو يدعوه بكل صراحة للوقوف على حاله، واصفاً سهده وتعبه، وأنه ليس طالباً للحياة حباً بها، وإنما هو ككل أفراد بني أبيه يريد أن يموت مثلهم عزيزاً "على صهوات الخيل " بل هو أول "باذل " روحه" لأوّلِ مُجْتَدِ " .

كما تستمر دعوة أبي فراس لسيف الدولة على هذه الحال وبتلك النبرات الحزينة الواهة؛ ليستثيرعطف ابن عمه وليدفعه دفعا للمسارعة بافتدائه،وليس قلة النوم والأسر هو الذي يدعو للفداء وإنما عز عليه أن يموت بين الأعداء طالباً المجد والعزة، وجميل أن يقدم لفظة "**تَأبَى** "على لفظة "**آبَى**" في البيت الأخير؛ وذلك تأكيد منه على إباء ابن عمه وعلى عزة نفسه، فهو يأبى قبل الشاعر نفسه أن يموت ابن عمه المسلم موسداً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد، وما أجمل هاتين الكلمتين أيضاً في ختام هذا البيت الرائع.

ثم يكمل أبو فراس أبياته واصفاً حاله بين أمر وضده قائلاً :

نضوتُ على الأيامِ ثوبَ جلادتي؛ ولكنني لمْ أنضُ ثوبَ التجلدِ

و ما أنا إلا بينَ أمرٍ، وضدهُ يجددُ لي، في كلِّ يومٍ مجددِ

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص78.

فمِنْ حُسنِ صَبرٍ بالسّلامَة وَاعِدي، ومنْ ريبِ دهرٍ بالردى ، متوعدي[1]

يصف حاله بين صبر هو أمرُ من الصبر، وأمل بسلامه، وما أصعب على المرء أن يعيش هذه الحال التي يتقلب فيها بين اليأس تارة وبين الرجاء تارة أخرى ولربما تغلب لحظات اليأس لحظات الرجاء فها هو ذا موعود بالسلامة، لكنه في الوقت ذاته متوعد بالردى والهلاك .

وبعد سرد حاله وشدّة يأسه وتصوير ما هو فيه يكمل أبو فراس أبياته مكرراً دعوته لسيف الدولة بطلب الفداء وتعجيل خلاصه من الأسر قائلاً:

دَعَوْتُكَ، وَالأبْوَابُ تُرْتَجُ دونَنا، فكُنْ خَيرَ مَدْعُوٍّ وَأكرَمَ مُنجِدِ

فمثلكَ منْ يدعى لكلِّ عظيمةٍ ومثليَ منْ يفدى بكلِّ مسودِ

أناديكَ لا أني أخافُ منَ الردى و لا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلى غدِ

وَقَد حُطّمَ الخَطّيّ وَاختُرَمَ العِدى و فُـلـلَ حدُّ المشرفِيّ المهندِ

ولكنْ أنفتُ الموتَ في دارِغربةٍ ، بأيدي النّصَارَى الغُلفِ مِيتَةَ أكمَدِ

فلا تـتركِ الأعداءَ حـولي ليفرحوا وَلا تَقطعِ التّسآلَ عَني،وَتَقْعُدِ

وَلا تَقعُدنْ عني، وَقد سيمَ فِديَتي، فلَستَ عن الفِعْلِ الكَرِيمِ بِمُقْعَدِ

فكـمْ لكَ عندي منْ أيادٍ وأنعمٍ ؟ رفعتَ بها قدري وأكثرتَ حسدي

تَشَبّـثْ بها أكرُومَةً قَبْلَ فَوْتِهَا، وَقُمْ في خلاصي صَادق العزْمِ وَاقعُدِ[2]

وهكذا يجدد أبو فراس دعوته لسيف الدولة طالباً الفداء،"ويروح يضرب أصنافاً من المنطق التبريري:يتأنى في دعوته، ويتمهل،معتبرًا أنّ أباه الروحي جدير بكلّ عظمة،وأنه هو أيضاً جدير

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص78.

[2] المصدر السابق ، ص78-79.

بأن يفدى بكلّ مسود، وخسارته خسارة مزدوجة فهم يخسرون في الشاعر والفارس معاً "[1]، ولكن يظهر في أبياته عزة ونفس أبيه يمتاز بها الشاعر، جاعلاً الأبواب حاجزاً بينه وبين كرم ونجدة سيف الدولة، ونجدته كما أنها في الوقت نفسه قامت حاجزاً بين الشاعر وحريته، وبين الشاعر وسيف الدولة، ولاشك في أن هذه الأبيات تجسد جانب العتاب،وكذلك شجاعة هذا الفارس بقوله: " **و مثليَ منْ يفدى بكلِّ مسودِ** " وكأنه من خلال هذا البيت يقسم المجد بينه وبين ابن عمه، فإذا كان سيف الدولة خير من يدعى لكل عظيمه، فأبو فراس خير من يفدى فهو لا يقل منزلة عن ابن عمه، وفي هذا ما فيه من تذكير الأمير سيف الدولة ببطولت ابن عمه وشجاعته وسيادته .

ويستمر أبو فراس في عتابه اللّين الهيّن لابن عمه مطالبا إياه بالعزم في الخلاص والجد في افتدائه، وذلك لصعوبة الأسر عليه وشماتة الأعداء فيه .

وفي صورة أخرى من عتاب أبي فراس الحمداني لابن عمه سيف الدولة، وذلك عندما "بلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة، وتتضرع إليه، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب، ووافق ذلك عنفاً من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى، وزيادة في إرهاقهم "[2] .

فلما علم شاعرنا بهذا الأمر تغير أسلوبه بسبب تلك الموقف، وأصبح أكثر ألماً، فصور انكسار أمه أمام سيف الدولة في أبيات يعاتبه فيها قائلاً :

بِأَيِّ عُذرٍ رَدَدتَ واهِيَةً عَلَيكَ دونَ الوَرى مُعَوَّلُها ؟
جاءَتكَ تَمتاحُ رَدَّ واحِدِها يَنتَظِرُ الناسُ كَيفَ تُقفِلُها!
سَمَحتَ مِنّي بِمُهجَةٍ كَرُمَت أَنتَ عَلى يَأسِها مُؤَمَّلُها

[1] أبو فراس الحمداني فتوة رومنسية ، خليل شرف الدين ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ، ص ١٢١.

[2] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، مرجع سابق، ص99.

إن كُنتَ لَم تَبذِلِ الفِداءَ لَها فَلَم أَزَل في رِضاكَ أَبذِلُها

تِلكَ المَوَدّاتُ كَيفَ تُهمِلُها؟ تِلكَ المَواعيدُ كَيفَ تُغفِلُها؟

تِلكَ العُقودُ الَّتي عَقَدتَ لَنا كَيفَ وَقَد أُحكِمَت تُحَلِّلُها؟

أَرحامُنا مِنكَ لِم تُقَطِّعُها ؟ وَلَم تَزَل دائِباً تُوَصِّلُها !

أَينَ المَعالي الَّتي عُرِفتَ بِها تَقولُها دائِماً وَ تَفعَلُها؟[1].

تأثر الشاعر بشماتة الحساد فيه وبأمه حين رد سيف الدولة أمه خائبة، في قوله: " **يَنتَظِرُ الناسُ كَيفَ تُقفِلُها** "، فعبّر مستنكراً من موقف ابن عمه؛ لأنه خرج عن المألوف وتجاوز صلة الرحم التي بينهم، مع أنه صاحب مواقف صاحب مواقف وخاصة تجاه من يقصد منه شي، ولاسيما أن أقاربه أولى بتلك المعروف.

وقرن أبو فراس في أبياته السابقة خطابه لسيف الدولة مع والدته، معاتباً له، مستغرباً منه وكأنه يحمله ذنب فراقها لابنها، وذلك ليُحمل سيف الدولة على الفداء، مذكراً إياه بأنه وحيد أمه، والأبيات تحمل في طياتها غضبا وألماً يغلفان هذا العتاب المر، ويأتي الاستفهام الإنكاري كثيراً حيث تتكرر "كيف " من خلال هذه الأبيات مجسدة غضب الشاعر وألمه واستنكاره لهذا الموقف من سيف الدولة، وتتآزر "كيف " تلك مع "لم " و" أين " لتعبر عن ذلك كله.

وفي موضع آخر يستمر في عتابه لابن عمه بأنه يعارض صفات السيادة قائلاً:

أَسَيْفُ الهُدَى ، وَقَرِيعَ العَرَبْ علامَ الجفاءُ وفيمَ الغضبْ ؟

وَمَا بَالُ كُتْبِكَ قد أصْبَحَتْ تنكبني معَ هذي النكبْ

وَأنْتَ الكَرِيمُ، وَأنْتَ الحَلِيمُ، وأنْتَ العَطُوفُ، وأنْتَ الحَدِبْ

و مازلتَ تسبقني بالجميلِ وتنزلني بالجنابِ الخصبْ

وَتَدْفَعُ عَن حَوْزَتِي الخُطُوبَ، وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيّ الكُرَبْ

[1]ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص332.

و إنكَ للجبلُ المشمخ مرّ لي بَلْ لِقَوْمِكَ بَل للعَرَبْ

عُلىً تَسْتَفَادُ، وَمَالٌ يُفَادُ، وَعِزٌّ يُشَادُ ، وَنُعْمَى تُرَبْ

وما غضَّ منيَ هذا الإسارُ ولكنْ خلصتُ خلوصَ الذهبْ

فَفِيمَ يُقَرّعُني بالخُمُو لِ مَوْلىً به نِلت أعلى الرّتَبْ؟[1]

وهكذا يطل أبي فراس متكئاً على الاستفهامات الإنكارية الموجهة إلى سيف الدولة، علامَ الجفاءُ ؟، وفيمَ الغضبْ؟ مردفاً إياها بتقرير كرم سيف الدولة وحلمه وعطفه، " وَأَنْتَ الكَرِيمُ، وَأَنْتَ الحَلِيمُ، وأَنْتَ العَطُوفُ، وأَنْتَ الحَدِبْ"و إنما كان ذلك كله إمعاناً من الشاعر في عتاب هذا الكريم الحليم،هذا العطوف الحدب الذي كانت له أيادٍ بيضاء على قومه بل على العرب جميعا، فهو الجبل المشمخر للشاعر ولبني حمدان وللعرب جميعا، وهو صاحب العُلى التي تستفاد، والمال الذي يفاد، والعز الذي يشاد، والنعمى التي تُرب "،ومع هذا التعداد لهذه الخصال وتلك الشيم التي عرف بها سيف الدولة، فإن الشاعر لم ينس نفسه في ختام هذه الأبيات فهو كالذهب الإبريز الذي لا تشوبه شائبة، "**وما غضَّ منيَ هذا الإسارُ و لكنْ خلصتُ خلوصَ الذهبْ**".

(كما يقابل أبو فراس في عتابه لسيف الدولة في أبياته السابقة بين صورتين: الصورة الأولى :الصورة التي ألفها عن سيف الدولة، صورة السيد العظيم ذي العزة والمنعة الذي كان ينبغي عليه الإسراع في فك أسره ولو على دماء الأبطال، فكيف بالفداء وهو الكريم الذي يبذل ما له لكل أحد، فكيف يضن به على فارس بني حمدان ، وهو الحليم الذي يصفح ويعفو إن كان أبو فراس قد قارف خطيئة أو ألم بجرم، وهو العطوف الذي يرق قلبه للبعداء فكيف برفيق دولته وفارسه الشجاع، وسيف الدولة مبادر إلى الفضل والجميل وأبو فراس أحق بأن يبادر سيف الدولة بفكاكه.

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص26.

أما الصورة الثانية :فقد ظهرت بعد الأسر، وهي صورة قاتمة اصطبغت بنفسية أبي فراس المتألمة في الأسر، فكان الجفاء والغضب والهجران الذي ظنه أبو فراس من أميره)[1].

ويطول نفس أبي فراس وهو يفخر بنفسه هذا الفخر الجميل في معرض العتاب :

وَكانَ عَتِيداً لَدَيّ الجَوَابُ، وَ لَكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ

أتُنكِرُ أَنّي شَكَوتُ الزَمانَ وأني عتبتكَ فيمنْ عتبْ !

فَهـلاَّ رَجَعْتَ فَأَعْتـَبْتَني ، وَصَيّرْتَ لي وَلِقَوْمي الغَلَبْ!

فـلا تنسـبنَّ إليَّ الخـمولَ أقـمتُ عليكَ فلمْ أغتربْ

وأصْبَحْتُ مِنكَ ففضل يكون وَإن كانَ نَقصٌ فَأَنتَ السَبَب

وما شككتنيَ فيكَ الخطوبُ و لا غيَّـرتني فيكَ النُّوبْ

وأسكنُ ما كنتُ في ضجرتي وَأحْلَمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الغَضَبْ

وَإنّ "خُرَاسَانَ" إنْ أنْكَرَتْ عالُايَ فقدْ عرفتها " حلبْ "

وَمِنْ أينَ يُنْكِرُني الأبْعَدُونَ أمنْ نقصِ جدٍ أمنْ نقصِ أبْ؟!

أَلَسْتُ وَإيّاكَ مِنْ أُسّرَةٍ، و بيني وبينكَ قربُ النسبْ! [2]

وذلك عندما "تأخرت كتب سيف الدولة عن أبي فراس وهو في الأسر، وذلك أنه بلغه أن بعض الأسرى قال:" إن ثقل هذا المال على الأمير كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره من الملوك وخفف علينا الأسر"، وذكروا أنهم قرروا مع الروم إطلاق أسراء المسلمين بما يحملونه.فاتهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول لضمانة المال للروم وقال: "من أين يعرفه أهل خراسان ؟ " [3]، فرد عليه أبو فراس بتلك الأبيات السابقة ، التي تجسد شجاعته وإباءه

[1] ينظر: صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني (دراسة موضوعية وفنية)،محمد بن يحي بن مفرح المعجم، بحث ماجستير في الأدب والنقد،جامعة أم القرى، 1429هـ، ص78-79.

[2]ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص26-27.

[3] المصدر السابق، ص25-26.

وإقدامه وصبره وشرف نسبه، ويكفيه شرفاً ما جاء في البيت الأخير من هذه الأبيات من خلال هذا الاستفهام التقريري :" أَلَسْتُ وَإيّاكَ مِنْ أُسّرَةٍ،وبيني وبينكَ قربُ النسبْ!" وأظن أن في هذا ما فيه من عتاب مرذٍ قاسٍ أليم .

ويستمر عتاب شاعرنا لابن عمه سيف الدولة، وذلك في موقف آخر كان من ابن عمه، فأخذ يعاتب ابن عمه بسبب سماعه لأعدائه وحساده الذين يسعون للخلاص منه، فيقول معاتباً ابن عمه :

أمثلي تقبلُ الأقوالُ فيهِ ؟ وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرّ عَلَيهِ كِذْبُ؟

جناني ما علمتَ، ولي لسانٌ يَقُدّ الدّرْعَ وَالإنْسانَ عَضْبُ

وزندي، وهوَ زندكَ ،ليسَ يكبو وَنَاري ، وَهْيَ نَارُكَ، لَيسَ تخبو

وفرعي فرعكَ الزاكي المعلَّى وَأصْلي أصْلُكَ الزّاكي وَحَسْبُ[1]

يعاتب الشاعر ابن عمه سيف الدولة لاستماعه لكل واش وحاسد، حتى إنه لم يعد يفرق بين صدق وكذب،والاتكاء على الاستفهام وبخاصة الإنكاري فيه سمة من السمات التي تميّز عتاب هذا الشاعر الفارس الذي يؤلمه ما يرى من ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة،على الرغم من الصلة والقرابة التي بينهم .

وفي موضع أخر يقول :

فلاَ تغترر بالناسِ،ما كلُّ منْ ترى أخُوكَ إذا أوْضَعتَ في الأمرِ أوْضَعَا

وَ لا تَتَقَلّدْ مَا يَرُوعُكَ حَلْيُهُ تقلدْ، إذا حاربتَ ، ما كانَ أقطعا!

وَلا تَقْبَلَنّ القَوْلَ من كلّ قائِلٍ! سأرضيكَ مرأى لستُ أرضيكَ مسمعا[2]

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ،ص28.

[2]المصدر السابق، ص248-249.

في الأبيات السابقة يؤكد أبو فراس أن أعداءه وحساده كان لهم يد فيما حدث بينه وبين سيف الدولة، وبما أن أبا فراس كان يشكل مصدر قلق على بني حمدان، فقد خافوا من تطلعه للحكم .

يقول الدكتور فوزي عيسى: " إن لخصوم أبي فراس دوراً كبيراً في ذلك، فقد اهتبلوا فرصة وقوع أبي فراس في الأسر؛ ليغتابوا ويتقولوا عليه وربما خوفوا سيف الدولة من طموحات أبي فراس السياسية وأقنعوه أنه طامع في الحكم "[1]، ومن هذا المنطلق نجد أبيات أبي فراس في تعليله لعدم افتداء ابن عمه سيف الدولة له لأمرين : " يرجح أبو فراس سبب الفرقة والتباعد الذي بينه وبين الأمير لعاملين: أحدهما : حساده وأعداؤه الكثيرون من أصدقائه، الذين غدروا به وأوغروا صدر الأمير عليه، وثانيهما: أن بعض أهله كان يكره خلاصه من الأسر ويتمنى هلاكه ويدس له عند سيف الدولة "[2].

وكذلك من القصائد التي عاتب أبو فراس فيها ابن عمه[3]، قوله في قصيده مطلعها:

أمَا لجَمِيلٍ عِنْدَكُنّ ثَوَابُ، وَلا لِمُسِيء عِنْدَكُنّ مَتَابُ؟ [4]

إذْ يظهر أبو فراس بمظهر الناصح لابن عمه قائلاً :

بَني عَمّنا ما يَصْنعُ السّيفُ في الوَغى إذا فلَّ منهُ مضربٌ وذبابُ ؟

بَني عَمّنا لا تُنكِروا الحَقَّ إنَّنا شِدادٌ عَلى غَيرِ الهَوانِ صِلابُ

بَني عَمّنَا نَحْنُ السّوَاعِدُ والظُّبَى ويوشكُ يوماً أنْ يكونَ ضرابُ [5]

---

[1] في الشعر العباسي، فوزي عيسى، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص137.

[2] شعر أبي فراس الحمداني (دراسة فنيه)، ماجدو لين وجيه بسيسو، ط1، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م ، ص108.

[3] قال ابن خالوية: امتنع الأمير سيف الدولة من إخراج ملك الروم، إلا بفداء عام، وحمل الأمير أبو فراس إلى القسطنطينية وبلغه بها بلاغة وهو في الأسر.ينظر ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص21.

[4] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص22.

[5] المصدر السابق ،ص 23.

ينصح أبو فراس ابن عمه في الأبيات السابقة بالمسارعة في فدائه وعدم التباطؤ في فك أسره،كذلك يلزم أبو فراس ابن عمه بالدفاع عنه وخاصة أن الحرب سجال بين الإمارة الحمدانية والروم، كما يرى أن هذا الجميل ليس بغريب على سيف الدولة، ولاسيما بأنه هو أولى به من الروم، كما يستغرب الشاعر من سيف الدولة كيف لرجل مثله أن يفوته هذا الجميل.

وجميل أن تستهل هذه الأبيات بهذا التساؤل الذي يؤكد أنّ السيف لا قيمة له في الوغى إذا فل منه مضربه وذبابه، ولا أراه يقصد بهذا الذباب وذلك المضرب إلا نفسه.

ويستمر شاعرنا في عتاب ابن عمه طالباً منه الإسراع في الفداء، ويذكره بأن ذلك واجب شرعي إسلامي، فرضه الدين على سيف الدولة معبراً عن ذلك بقوله :

فَإِلا يَكُن وُدٌّ قَديمٌ عهدُّتهُ وَلا نَسَبٌ بَينَ الرِجالِ قُرابُ

فأَحْوَطَ لِلإسْلامِ أنْ لا يُضِيعَني ولي عنهُ فيهِ حوطةٌ ومنابُ

و لكنني راضٍ على كل حالةٍ ليعلمَ أيُّ الحالتينِ سرابُ [1]

وهكذا يؤكد أبو فراس أن حق الإسلام لم يضع إذا كان سيف الدولة قد أضاع حق القرابة والود ولم يحفظه، ولكن على كل حال فهو راضٍ، وهذا الرضا فيه تجسيد لإيمانه بالله تعالى وثقته فيه سبحانه.

كما عاتب أبو فراس سيف الدولة لأنه أصبح عوناً للزمن عليه، وذلك بعد أن كان ساعده ومعينه الذي يدفع عنه الخطوب والكروب قائلاً:

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ و أنتَ عليَّ والأيامُ إلبُ

وَعَيْشُ العالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ، وعيشي وحدهُ بفناكَ صعبُ

[1]ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص24.

وَأنتَ –وَأنْتَ دافعُ كُلّ خَطْبٍ–، معَ الخطبِ الملمّ عليَّ خطبُ [1]

وما أقسى هذا البيت الأخير الذي تكرر فيه الضمير" أنت"في مواجهة سيف الدولة الذي تعوّد رفع الخطب،ثم يتحول فجأة هو نفسه إلى خطب على الشاعر مع خطبه الملم –يعني أسره– ويظل أبو فراس في عتابه المر القاسي،حينما يقارن حال سيف الدولة وحياته الرغدة، بحالته الخشنة معبراً عن ذلك؛ لعله أن يفرج عنه كربه، ويخرجه من الأسر في قوله:

ياواسِعَ الدارِ كَيفَ توسِعُها؟ وَنَحنُ في صَخرَةٍ نُزَلزِلُها !

ياناعِمَ الثَوبِ كَيفَ تُبدِلُهُ ؟ ثِيابُنا الصوفُ مانُبَدِّلُها !

ياراكِبَ الخَيلِ!لَو بَصُرتَ بِنا نَحمِلُ أَقيادَنا وَنَنقُلُها !

رَأَيتَ في الضُرِّ أَوجُهاً كَرُمَت فارَقَ فيكَ الجَمالَ أَجمَلُها!

قَد أَثَّرَ الدَهرُ في مَحاسِنِها تَعرِفُها تارَةً وَتَجهَلُها [2]

وهكذا يقارن أبو فراس في شيء من الأسى والحسرة بين حياته في السجن وحياة سيف الدولة في داره الواسعة، وبين ثوب سيف الدولة الناعم الذي يبدله من وقت لآخر، وبين ثوبه هو الصوف الذي لا يبدله في سجنه، ثم يصف حالة سيف الدولة راكباً للخيول، وحاله هو في القيود التي تثقل عليه حين ينتقل بها من مكان لآخر، ويقرر أنه لو رآه في صورته هذه لرأى الضر الذي أُلم به حيث غير ملامح الجمال فيه، للدرجة التي قد يجهل سيف الدولة محاسنه التي يعرفها تمام المعرفة ويعيها تمام الوعي إنها أبيات فيها من زفرات الأسى ما فيها، وفيها من سيما

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص28.

[2] المصدر السابق، ص333.

الحسرة ما فيها، وفيها من العتاب الذي تغلفه هذه الحسرة وذلك الأسى ما يجعله عتاباً غير مباشر ولكنه عتاب قاسٍ أليم .

ويُشكل عتابه لسيف الدولة، صوراً مختلفة بنبرة لينه حينا وقاسية حينا آخر، يذكره بعلاقتهم الحميمة، طالباً إياه أن يتجاهل الأقاويل التي يحملها إليه شانؤوه وكارهوه وحساده والحاقدون عليه.

يقول د . أحمد البرزة : " كان أبو فراس في أسره مثال الشاب الفخور بأسرته، المزدهي بقدرته وشجاعته وممارسته لأعمال البطولة ، المتطلع إلى المستقبل، دافع عن نفسه لاستئساره، وألَحَ على ابن عمه سيف الدولة في فدائه، فحالت بعض الصعوبات السياسية والمالية والشخصية دون الإسراع في إجابة مطلبه فأمضه الألم، وكان منه عتاب كثير "(1).

ومن خلال تتبع المواضع الشعرية التي يمكن رصدها من عتاب أبي فراس لابن عمه فإننا نجدها تأخذ صوراً متعددة منها :

– عتابه لابن عمه بسبب عدم افتدائه، وإحساسه بعدم التقدير من قِبل سيف الدولة، من هذا المنطلق نجد أن أبيات أبي فراس في عتابه لابن عمه يرجحها "أبو فراس سبب الفرقة والتباعد الذي بينه وبين الأمير مرجعها لعاملين: أحدهما حساده وأعداؤه الكثيرون من أصدقائه، الذين غدروا به وأوغروا صدر الأمير عليه،وثانيهما: أن بعض أهله كان يكره خلاصه من الأسر وتمني هلاكه ويدس له عند سيف الدولة " [2] .

–عتابه لابن عمه بسبب رد أمه العجوز خائبة.

كما يتضح أن عتابه لابن عمه بأكثر من صورة دليل على انكساره مجسداً لمعاناته التي يعبر عنها في أبيات شعرية هي في الوقت ذاته تعزية لنفسه ووصف للمأساة التي يعاني منها.

---

(1) الأسر والسجن في شعر الحرب (تاريخ ودراسة) ، د. أحمد مختار البرزة ، ص ٨٦ وما بعدها.

(2) شعر أبي فراس الحمداني (دراسة فنيه)، ماجدولين وجيه بسيسو ،ص108.

المبحث الثاني : رسائل الشاعر لأمه العجوز من خلال شعره

من أسمى العلاقات الإنسانية وأجلها علاقة الإنسان بأمه، فأبو فراس نشأ يتيم الأب فلم يحتضنه سوى أمه، ولقد مر بظروف قاسيه شكل شعره في أمه جزأً كبيراً منها ومن شخصيته وعاش الشاعر مع والدته قبل الأسر، فقضت أمه حياتها معه ورسمت شخصية بارزة، ولكن ما لبث إلا فارق والدته، وتحدث كثيراً عن لهفته وإشفاقه عليها مما جعل له أكبر الأثر في نفس أبي فراس عندما رأى تهاوناً في فدائه، فانفجرت قريحته حرقة على أمه المقهورة المغلوبة على أمرها ومن أبرز الصور التي تشكل انكساراً لأبي فراس هي : رسائل الشاعر لأمه العجوز من خلال شعره .

فما كان له إلا أن يرسل من الأسر رسائل مطالباً سيف الدولة بفدائه؛ وذلك لتحقيق رغبة أمه بمنبج، تلك الأم التي فزعت بأسر وحيدها، وبعاده عنها وهي في أمس الحاجة إليه فهي العجوز التي بلغت من العمر أرذله، يقول أبو فراس معلّلاً طلبه الفداء :

لَوْلا العَجُوزُ بِمَنْبِجٍ مَا خِفْتُ أسْبَابَ المَنِيّهْ
وَلَكَانَ لي،عَمّا سَأَلْ تُ منَ الفدا، نفسٌ أبيهْ
لكنْ أردتُ مرادها، وَلَوِ انْجَذَبْتُ إلى الدّنِيّهْ
وَأرَى مُحَامَاتي عَلَيْ هَا أنْ تُضَامَ مِنَ الحَمِيّهْ
أمستْ بـ" منبج"،حرةُ بالحُزْنِ،من بَعدي،حَرِيّهْ [1]

وهكذا يعبر أبا فراس في كثير من الحزن والانكسار والأسى عن حال أمه الوحيدة بمنبج، مذكراً سيف الدولة بأن السبب في طلبه الفداء على الرغم من نفسه الأبية، هو هذه الأم العجوز التي فقدت وحيدها.

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص 433-434.

ويعلو صوت أبي فراس عندما يعلم بأن أمه قد ذهبت إلى سيف الدولة تطلب فداء وحيدها فردها خائبة، ولقد نتج عن ذلك صورة شكلت من صور الانكسار التي عاشها الشاعر وشعر بعدم قدرته وبعجزه وانكساره أمام عدم تحقيق حلم أمه، فعبر عن حالها بأبيات يعاتب بها سيف الدولة لرده أمه خائبة، والأبيات على الرغم مما تحمله من أنات حزن وألم إلا أنها تنطوي على تجسيد نفس عزيزة أبية ترى أن محاماتها عن أمها حماية لها من أنْ تضام من الحمية، فهي الحرة التي دفعتها أقدارها إلى أنْ تكون الحرية بالحزن، الجديرة بالأسى .

وهكذا تحمل الأبيات بين ثناياها عتاباً غير مباشر لكنه أشدُّ إيلاماً وأمرُّ في نفس المعاتب من أي عتاب آخر .

ويطول حديث الشاعر عن أمه، وتجسيداً لألمها وحسراتها وكثرة تساؤلها عن وحيدها الغائب عنها في بلاد أعدائه حيث يقول:

يا حَسرَةً ما أَكادُ أَحمِلُها آخِرُها مُـزعِجٌ وَأَوَّلُـهـا!

عَليلَةٌ بِالشَـآمِ مُفرَدَةٌ باتَ بِأَيدي العِدى مُعَلِّلُها

تُمسِكُ أَحشاءَها عَلى حُرَقٍ تُطفِئُها وَالهُمومُ تُشعِلُها!

إِذا اطمَأَنَّت–وَأَينَ؟–أَوهَدَأَت عَنَّـت لَها ذُكرَةٌ تُقَلقِلُها

تَسأَلُ عَنّا الرُكبانَ جاهِدَةً بِأَدمُعٍ ماتَكادُ تُمهِلُها

"يامَن رَأى لي بِحِصنِ"خِرشَنَةٍ " أُسدَ شَرىً في القُيودِ أَرجُلُها"

"يامَن رَأى لي الدُروبَ شامِخَةً دونَ لِقاءِ الحَبيبِ أَطوَلُها"

"يامَن رَأى لي القُيودَ موثَقَةٌ عَلى حَبيبِ الفُؤادِ أَثقَلُها"[1]

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص330-331 .

وهكذا تبدو حسرة أبي فراس جلية واضحة حين يصرح بها من خلال هذا النداء التعجبي الذي يستهل به هذه الأبيات،"فالشاعر عندما يصف معاناتها أو بتعبير أدق يصف لنا حاله على لسانها "[1]، فأخذ يصف موقف أمه وما تعانيه، وواقع حاله أنه يصف معاناته أكثر مما يصف معاناتها، ولا يرى عيباً عليه أن يصرح بحسرته وهو الفارس المقدام، فلم تكن هذه الحسرة إلا من أجل أم رءوم عجوز أضعفها الزمن وبعاد وحيدها فهي العليلة، وما أجمل وصفها بأنها تحاول أن تمسك أحشاءها على حرق تحاول إطفاءها، ولكن الهموم تشعلها على الرغم منها، من خلال تذكر ولدها فها هي ذي تسأل عن الركبان جاهدة بأدمع لا تستطيع ولا تملك أنْ تكتمها؛ لأن دموعها لا تمهلها، وإن سؤالها ليدور حول من رأى ولدها بحصن"خرشنة " ذلك الأسير مع غيره من أسود قد وقعت في الأسر وأضحت القيود في أرجلها مكبلة إياها ، أولئك الأسود التي خلت منها الدروب الشامخة في بلاد الشام ،إنها أبيات تحمل إلى جانب ما تحمل من حسرة وألم ، تحمل عتاباً مراً قاسياً أليما، ولكنه عتاب غير مباشر، وما أجمل أنْ يأتي العتاب هكذا .

ويناجي أبو فراس الركبان فيقول :

يا أَيُّها الراكِبانِ هَل لَكُما ... في حَملِ نَجوى يَخِفُّ مَحمَلُها؟!

قولا لَها إِن وَعَت مَقالَكُما ... وَإِنَّ ذِكري لَها لَيُذهِلُتُها

" يا أُمَّتا هَذِهِ مَنازِلُنا ... نَتِرُكُها تارَةً وَنَنزِلُها"

" يا أُمَّتا هَذِهِ مَوارِدُنا ... نَعُلُّها تارَةً وَنَنهَلُها"

" أَسلَمَنا قَومُنا إِلى نُوَبٍ ... أَيسَرُها في القُلوبِ أَقتَلُها"

وَاستَبدَلوا بَعدَنا رِجالَ وَغىً ... يَوَدُّ أَدنى عُلايَ أَمثَلُها [2]

---

[1] أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان، د.محمد حمود ، ص124.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص331.

والأبيات تحمل بين ثناياها طمأنة هذا الشاعر الفارس لأمه من خلال هذه الرسائل التي يحملها الركبان، وهي نجوى يخف محملها طالباً من الركبان أن يخبرا أمه الذاهلة بأن الحياة هكذا،وصال ولقاء ثم بعاد وفراق.

كذلك جعل أبو فراس "كلامه يبدأ مرتين بالنداء في كل خطاب لأمه مما سبق في الأبيات لزيادة التأثير، وليطمئنها بأنه على الرغم مما هو فيه فهو موجود، وقد كان موفقا من وجه كلامه المباشر إليها "[1]، لكن الذي يؤلم هذا الشاعر الفارس أنَّ قومه أسلموه إلى هذه النوب وتلك المصائب على الرغم من أياديه البيضاء على قومه ولا يعني بقومه أحدا سوى" سيف الدولة ".

وتطول أيام الأسر على أبي فراس ويطول حنينه إلى أمه وشوقه إلى صدرها الحنون، يود أنْ يتكئ عليه فيوجه برسالة إلى أمه يشكو فيها ما أصابه ويحاول أن يعزي أمه فيقول :

مُصَابي جَلِيلٌ، وَالعَزَاءُ جَمِيلُ، وَظَنّي بِأنّ الله سَوْفَ يُدِيلَ

جِرَاحٌ، تحَامَاها الأُسَاةُ،مَخوفَةٌ، وسقمانِ : بادٍ، منهما ودخيلُ

وأسرٌ أقاسيهِ ،وليلٌ نجومهُ ، أرَى كُلّ شَيْءٍ، غَيرَهُنّ، يَزُولُ

تطولُ بي الساعاتُ،وهي قصيرة؛ وفي كلِّ دهرٍ لا يسركَ طولُ ![2]

ويتضح من الأبيات السابقة عمق المعاناة التي يعيشها الشاعر،وقد وفق في تجسيد حالته النفسية بأنه يعيش عظم المصاب وجليل الخطب ولكـن تبقى قدرة الله على إزالة الأسى والألم ، كما تضافرت الأسقام عليه فمنها الظاهر والباطن مع قسوة الأسر وقوله " **و أسرٌ أقاسيهِ**" يحس القارئ بأن الجبال تكاد تنطبق عليه، وطول الساعات التي يقضيها مع النجوم التي لا تريد أن تزول، فعلى الرغم من قصر الساعات لديه لكنها ما أطولها عليه؛ لأنها ساعات حزن وأسى

[1] دراسات في النص الشعري العصر العباسي، د.عبده بدوي ، القاهرة: دار قباء للنشر، ص249.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص313 -314 .

وألم، وما أجمل هذه الحكمة التي ختم بها الشاعر هذه الأبيات، فعلى العاقل ألاّ يُـسرّ بطول العمر مادام الدهر يبتليه بما ابتلى بها شاعرنا الفارس المقدام .

ومن الجميل لدى شاعرنا رسالته لأمه، فعلى الرغم من المعاناة التي يعيشها نجده يدعو أمه إلى التحلي بالصبر، كما استدعى أسما ء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنها – لتكون أسوة لأمه حين صبرت على قتل ولدها عبد الله بن الزبير بن العوام، وذلك لحث والدته على الصبر والتأسي بهذه الأم العظيمة، ويتكئ من خلال ذلك على النداء المتكرر "ياأمتا" في البيتين الأول والثاني، ثم على الاستفهام التقريري في البيت الثالث، ويسوق لها قصة عبد الله بن الزبير مع أمه وحثها له على الجهاد إعلاءً لكلمة الله، ونصرة لأصحاب الحق من المسلمين .

فَيَا أُمّتَا، لا تَعْدَمي الصّبرَ، إنّهُ إلى الخَيرِ وَالنُّجْحِ القَرِيبِ رَسُولُ!

وَيَا أُمّتَا، لا تُخْطِئي الأجْرَ! إنّهُ على قدرِ الصبرِ الجميلِ جزيلُ

أما لكِ في"ذاتِ النطاقينِ"أسوةٌ، بـ"مكةَ" والحربُ العوانُ تجولُ ؟

أرَادَ ابنُها أخْذَ الأمَانِ فَلَمْ تُجبْ و تعـلمُ ، علماً أنهُ لقتيلُ ! [1]

ولا يمل شاعرنا من سوق الأمثلة المضيئة لأمه حتّى تتأسى بأصحاب هذه الأمثلة من المؤمنات الصالحات الصابرات فيذكرها "بصفية " عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم "وصبرها على مقتل أخيها "حمزة "سيد الشهداء في "أحد "، فيسأل أمه أنْ تكون مثلها صابرة محتسبة فيقول :

وكوني كما كانتْ بـ " أحدٍ" "صفيةٌ" ولمْ يشفَ منها بالبكاءِ غليلُ !

ولوْ ردَّ ، يوماً " حمزةَ الخيرِ "حزنها إذاً مَا عَلَتْهَا رَنّةٌ وَعَوِيلُ [2]

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص316.

[2] المصر السابق ، ص317.

ويتضح من خلال الأبيات السابقة وكأنه يتأثر بقوله صلى الله عليه وسلم :" إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ" رواه الترمذي [1].

ويظل أبو فراس متحدثاً عن أعز أحبابه عنْ أمه الغالية، التي يحزن لحزنها ويشكو لشكواها؛ حيث كان يأمل بالفرج القريب،لكن منية أمه سبقته قبل أن يتحقق له ذلك الأمل، فانكسر أبو فراس انكساراً قوياً، ويتمثل انكساره هذا في عجزه عن تحقيق أمنية أمه قبل وفاتها ،فأخذ في رثائها رثاءً حاراً يمس أوتار القلوب، ويلهب النفوس ألماً، وحسرة ولوعة، يقول أبو فراس مكثراً من نداء هذه الأم الرءوم مناديا إياها بـ"أمَّ الأسير" وكأنه يقلدها وساماً غالياً؛ إذْ لقيت ربها صابرة على بعاد ولدها محتسبة أسره عنده سبحانه :

أيا أمَّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ ، بكُرْهٍ مِنْكِ، مَا لَقِيَ الأسِيرُ!

أيا أمَّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ ، تَحَيّرَ، لا يُقِيم وَلا يَسِير!

أيا أمَّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ ، إلى منْ بالفدا يأتي البشيرُ؟

أيا أمَّ الأسيرِ، لمن تُربَّى وقدْ متِّ،الذوائبُ والشعورُ؟

إذا ابنكِ سارَ في برٍ وبحرٍ، فمنْ يدعو لهُ ، أو يستجيرُ؟

حرامٌ أن يبيتَ قريرَ عينٍ ! ولؤمٌ أنْ يلمَّ بهِ السرورُ !

وَقَد ذُقتِ الرَزايا وَالمَنايا وَلا وَلَدٌ لَدَيكِ وَلا عَشيرُ

وغابَ حبيبُ قلبكِ عنْ مكانٍ، مَلائِكَةُ السّمَاءِ بِهِ حُضور[2]

ويتضح من أبياته السابقة فجيعته بأمه أول وآخر أمل له في الحياة، كما تظهر عاطفته الناتجة عن حزنه العميق، فبدأ بنداء أمه (أيا أمَّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ)وهو يدعو لأمه بالسقيا،

---

[1] كتاب سنن الترمذي ،أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي،خرج أحاديثه : عز الدين ضلي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1423هـ-2011م،حديث رقم 2396، ص872.

[2]ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص216 -217.

ويرى أن فرحته بالخلاص المؤمل ستكون ناقصة؛ لأن أمه لن تكون موجودة عند افتدائه، كما انه بموتها حرم من الدعاء الصادق،و يلاحظ من تكراره لنداء أمه بقوله :(**أيا أمَّ الأسيرِ، سقاكِ غيثٌ**) أربع مرات؛وذلك ليبين المأساة والواقع الثقيل الذي يعيشه،حتى كأنه يكاد لا يعي ما يقول بتكراره، لكن أرى أن تكراره يحمل معنيين :المعنى الأول: فجيعة الأم بابنها ووفاة أمه وهو لا يزال في الأسر، والمعنى الثاني: فجيعته هو الأسير بموت أمه وهو داخل السجن، مع العودة إلى خطاب أمه مصوراً حالته بعد فجيعته بها، بأنه اشتد عليه الأسر وغلظت وحدته وزادت وحشته لأنه كان أمله بالله ثم بمساعيها عند ابن عمه ودعائها له،وسبب ذلك كله أنه كان لأمه دور كبير في تربيته وتنشئته وتثقيفه فـ"بعد أن قتل والد أبي فراس كفلته أمه برعايتها وعطفها ،بل عاشت حياتها كلها من أجله " [1].

واللافت في الأبيات السابقة أن أبا فراس –إلى جانب اتكائه على النداء– قد اتكأ على الاستفهام الذي يجسد حزنه وألمه وأساه، فقد ماتت تلك التي كان الشاعر يرجو أن يأتيها البشير يوماً بفداء ولدها الذي حرم بموت أمه من يدعو له ومن يستجير الله من أجله .

ثم يكمل أبو فراس حديثه عن أمه ومآثرها ، ويبكيها قائلاً:

لِيَبْكِكِ كُلُّ يَوْمٍ صُمتِ فيهِ مُصَابِرَةً وَقَد حَمِيَ الهَجِير
لِيَبْكِكِ كُلّ لَيلٍ قُمْتِ فيهِ إلى أنْ يبتدي الفجرُ المنيرُ!
لِيَبْكِكِ كُلّ مُضْطَهَدٍ مَخُوفٍ أجرتِهِ ، وقدْ عزّ المجيرُ !
لِيَبْكِكِ كُلّ مِسكِينٍ فَقِيرٍ أغَثْتِيهِ، وَمَا في العَظْمِ زِير![2]

فالشاعر يعدِّد في أبياته السابقة،مناقب أمه وصفاتها من خير وتقوى، وقيام الليل، وإغاثه الملهوف، والعطف على الفقير، كما يظهر من تكراره "**لِيَبْكِكِ**" على لحظات حزن وعذاب، ولم يقتصر الحزن على أبي فراس بل تجاوزه إلى غيره، حتى طغى الحزن على رموز الحياة، فالأيام

[1] أبو فراس الحمداني حياته وشعره، ص85.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص217.

تبكيها،والليالي التي قامتها عابدة أيضاً تبكيها، كما أنها كانت للمضطهدين خير مجير، وللمساكين أفضل مغيث.

ويختم أبو فراس أبياته مشيراً إلى مدى شوق أمه لفكاكه من أسره مصوراً همها؛ إذ كان أملها أن تفرح بعودته، وأن تأتيها البشرى بقربه، فيكرر نداءها كذلك إمعاناًفي التحسر وإظهار الأسى والألم، متحدثاً عن همها الطويل، وسرها المصون وحلمها ببشرى لقائه :

أيا أماهُ ، كمْ همٍّ طويلٍ مضى بكِ لمْ يكنْ منهُ نصيرُ!؟

أيا أماهُ ، كمْ سرٍّ مصونٍ بقلْبِكِ، مَاتَ لَيسَ لَه ظُهُور

أيا أماهُ ، كمْ بشرى بقربي أتَتْكِ، وَدُونَهَا الأجَلِ القَصِير [1]

وهكذا يكرر أبو فراس نداءه لأمه (**أيا أماهُ،** متكئاً على "كمْ") الخبرية التي تخبر عن الكثرة مفتخراً بهذه الأم معدداً بأنها كانت حافظة للأسرار أمينة .

ويتعاظم الخطب على أبي فراس فيتساءل مستفهماً لمن يشتكي بعد أن كان يشكو إلى أمه ؟ومن يناجي إذا ضاق صدره بما فيه؟ ومن سيدعو له بعد أن كان لأمه دعاء يقيه وينجيه ؟ وبأيّ ضياء وجه يستضيء وقد كان وجه أمه الضياء له، وبمن يستدفع القدر الموفى بعد رحيل أمه ؟، وبمن يستفتح الأمر العسير ؟!كل تلك الأمور توحي بعمق الحزن والحيرة عند الشاعر، معبراً عنها قائلاً:

إلى منْ أشتكي؟ ولمنْ أناجي، إذا ضاقتْ بما فيها الصدورُ؟

بِأيّ دُعَاءِ دَاعِيَةٍ أُوَقّى ؟ بأيّ ضياءِ وجهٍ أستنيرُ ؟

بِمَن يُستَدفَعُ القَدرَ المُوَقّى؟ بِمَن يُستَفتَحُ الأَمرُ العَسيرُ؟

نُسلَّى عنكَ أنا عنْ قليلٍ ، إلى ما صرتِ في الأخرى،نصيرُ[2]

---

[1]ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص217-218.

[2] المصدر السابق ، ص218.

ويختم الشاعر الفارس أبياته تلك بما يؤكد إيمانه المطلق بالله سبحانه وتعالى، وبأن الموت حق ولابد أن تذوقه كل نفس، وهذا ما يسليه ويهبه الصبر الجميل على فراق أمه التي يعلم علما أنه سيصير في يوم من الأيام إلى ما صارت إليه.

ومن خلال القصيدة السابقة(**أيا أمَّ الأسيرِ**)،"نشعر شعوراً عميقاً بالحزن الذي فاض بالشاعر ألماً على وفاة أمه، ونحس بانفطار قلبه، وتقطع حشاه؛ حتى لا نملك أن ندفع دمعة تترقرق بين الجفون أو زفرة تتصاعد من حنايا الصدور، وهذا في نظرنا المحك السليم للتفريق بين الشاعر الحساس والشاعر الصانع"[1]، كما نلاحظ أن أبا فراس قد نجح وأبدع في رثاء أمه؛ وذلك لصدق عاطفته، وأن كل ماقاله في القصيدة "إحساسات صادقه، وتعبير صادق عن عواطف قويه متمكنة "[2].

وهكذا يتضح من خلال هذا المبحث أن رسائله لأمه، سواء أكانت في عتابه لابن عمه أم كانت حديثاً عن أمه ومعاناتها وحرقتها عليه مرسلاً لها من خلال تلك القصائد رسائل؛ ليطمئنها عليه، أو رسائله التي يخاطب بها أمه واصفاً لها حاله ناصحاً لها بأن تتحلى بالصبر، أو رسائله التي يرثيها بها بعد أنْ فارقت الحياة والحزن ينهش قلبها على وحيدها الذي لم يحقق حلمها بفكاكه من الأسر؛ إن جميع تلك الرسائل المختلفة، إنما تُعد صورة من صور الانكسار التي بثها الشاعر من خلال أسره لدى الروم .

[1] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د.مصطفى الشكعه ، مرجع سابق ،ص528-529.

[2] شاعر بني حمدان ، أحمد أحمد بدوي ، ص82.

المبحث الثالث : تذكر الشاعر لمجده السابق من خلال شعره .

مازال أبو فراس يرى أنه الفارس الشجاع على الرغم من الأسر،بل إنه الفتى الشجاع الذي لا يمكن الاستغناء عنه، والدليل على ذلك بطولاته المتعددة والمجد الذي حققه في ماضيه.

كما تثير بعض المواقف مشاعر الشاعر وتهيج عواطفه، فتذكره بمجده السابق الذي عاشه، وتعد تلك المواقف من أهم الروافد التي بثها في شعره وذلك نتاج الحالة النفسية التي عاشها بعد وقوعه في أسر الروم وعزّ عليه ذلك.

ويسمع أبو فراس صوت" حمامة "على غصن قريب منه فيهيج صوتها أحزانه، ويذكره بآلامه، فيأخذ في مناجاتها مصوراً حاله وحالها مقارنا بين حال الطليقة والمأسور، كما" كانت الرحلة البعيدة التي يقوم بها الحمام بعيداً عن رفاقه مثيره لأحاسيس الشعراء وعواطفهم عندما يغتربون عن أهلهم ورفاقهم وأحبابهم وأوطانهم، فاقترن ذكر الحمام عندهم بالآلام والتباريح والبكاء، خاصة عندما يكون منفرداً " [1]، يقول أبو فراس في ذلك :

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ : أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟

معاذَ الهوى !ماذقتِ طارقةَ النوى، وَلا خَطَرَتْ مِنكِ الهُمُومُ ببالِ!

أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ على غصنِ نائيّ المسافةِ عالِ ؟

أيا جارتا،ما أنصفَ الدهرُ بيننا! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالِي!

تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لَدَيّ ضَعِيفَةً، تَرَدّدُ في جِسْمٍ يُعَذّبُ بَالِ !

أيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكي طَلِيقَةٌ، ويسكتُ محزونٌ ، ويندبُ سالِ ؟

لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مقلةً؛ وَلَكِنّ دَمْعي في الحَوَادِثِ غَالِ![2]

---

[1] الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، د.أنور عليان ، دار العلوم للنشر ، 1403هـ-1983م ، ص192.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص325.

وعلى الرغم من أن القصيدة لم تتجاوز سبعة أبيات إلا أنها تعبر عن معاناة الشاعر الأليمة ،(وإنّ السامع للأبيات السابقة يتبين ما يعيشه الشاعر من أحزان وآلام، فها هو ذا يعقد هذه المقارنة بينه وبين الحمامة، ويتكئ على الاستفهام التعجبي الإنكاري حين يرى " طليقة "تنوح وتبكي على الرغم من أنها لم تذق ما ذاق من طوارق النوى، ولا خطرت الهموم على بالها كما خطرت عليه ،وإلا فكيف حملتها قوادمها وهي الحزينة إلى هذا الغصن النائي وينابيها ب " أيا جارتا " فقد وجد فيها الأنيس بعد أن عزّ الأنيس طالباً منها أن تقاسمه أحزانه وأن تشاطره آلامه وأنْ تنظر إلى روحه الضعيفة التي تردد في جسمه البالي الذي أنهكه الحزن)[1]، بل يختم هذه الأبيات السبعة بالحديث عن نفسه الأبية التي تتأبّ على البكاء كما في قوله: " لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مقلةً؛ وَلَكِنّ دَمْعي في الحَوَادِثِ غَالِ"، ولاشك في أن هذا البيت الأخير هو بيت القصيد في هذه الأبيات فلم يكن للحزن أن يهدّ فارساً كهذا الفارس، وما كان للألم أن يضعف عظيماً كهذا العظيم .

"وهذه الشكوى للحال والحديث للطبيعة ومخلوقاتها وسيلة يلجأ إليها الشعراء الرومانسيون عادةً، ولقد سار الشاعر على نمط أصحاب هذا المذهب قبل أن يكون مذهباً معروفاً، فهو يود من كل كائن حي أن يشاركه إحساسه وآلامه بأسره ، حتى الحمامة ... "[2]

ويستمر تذكر أبي فراس لأيامه، ولاسيما أيام العيد، وقد "أقبل عليه العيد وهو أسير في بلاد الروم، وقد اكتفى في استقباله بتسجيل ما يملأ قلبه من الكرب ونفسه من العناء، وما انسدل على ناظره من سواد حجب عنْ عينيه رؤية النور والجمال...، ورأى أهله يستقبلون العيد لاكما اعتادوا استقباله في طرب وبهجة ، ويختم مقطوعته متعجباً من أحداث الدهر وأعاجيبه قائلاً :

(1) ينظر :الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني ،رسالة ماجستير في الأدب والنقد ،نوال براك الثمالي ،1430هـ ،ص141.

[2]شعر أبي فراس الحمداني (دراسة فنية) ، ماجدولين بسيسو ، مرجع سابق، ص ١١٢ .

يَا عِيدُ! مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ على مُعنًّى القلبِ، مكروبِ

يَا عِيدُ!قَد عُدْتَ علَى ناظِرٍ، عن كلِ حسنٍ فيكَ محجوبِ

يَا وَحْشَةَ الدّارِ التي رَبُّهَا أصْبَحَ في أثْوَابِ مَرْبُوبِ

قَدْ طَلَعَ العِيدُ عَلى أهْلِهِ بِوَجْـهِ لا حُـسْنٍ وَلا طِيبِ

مـا لي وللـدهرِ وأحـداثِهِ لقدْ رماني بالأعاجيبِ [1]

وهكذا يعبر الشاعر عن حاله الذي يختلف عن بقيه الناس، فلم يشعر بفرحة العيد، ومن المعلوم أن الأساس في كل عيد الفرح والبهجة، ولكن لم تدخل البهجة قلبه، بل كان الحزن والكرب إحساسه الذي يشعر به، ويقف معبراً متعجباً من ذلك اليوم الذي كان أجمل ما في ذكريات أبي فراس الماضية .

ولا يفوت أبا فراس تذكر مجده السابق متأثراً بثقافته الإسلامية، مقراً أن المرء إذا اتكل على غير الله فإنه يكون عرضه للمحن قائلاً :

إذا كانَ غيرُ اللهِ للمرءِ عدةً ، أتَتْهُ الرّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ[2]

ففي البيت السابق يتضح تأثره بقول الله تعالى:چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[3].

ومما لاشك فيه أن أبا فراس لم يتوقف عن الافتخار بنفسه على الرغم من الأسر والحزن فها هو ذا يفتخر بنفسه مبيناً فضله على قومه وقيمة وجوده بينهم، متذكرا ذلك كله بقوله :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ، " وفي الليلةِ الظلماءِ ، يُفتقدُ البدرُ "

فإنْ عِشْتُ فَالطّعْنُ الذي يَعْرِفُونَه وتلكَ القنا،والبيضُ والضُّمَّرُ الشُّقرُ

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص29-30.

[2] المصدر السابق ، ص38.

(3) سورة الطلاق ، أيه 2-3.

وَإنْ مِتُّ فالإنْسَانُ لا بُدّ ميتُ ، وإنْ طَالَتِ الأيّامُ ، وَانْفَسَحَ العمرُ

ولوْ سدَّ غيري،ما سددتُ،اكتفوا بهِ؛ وما كانَ يغلو التبرُ،لو نفقَ الصفرُ[1]

فهو الذهب الخالص، وغيره معدن رخيص، لا يسدّ أحد مسدّه، ولاشك في أن قومه عامه وسيف الدولة خاصة سيذكرونه إذا جدّ جدّهم، فهو البدر فيهم وما أكثر لياليهم المظلمة! وما أطولها عليهم بدونه!، ومما يدخل في تذكر الشاعر لمجده السابق مخاطبة قومه مذكراً إياهم بمجده ومواقفه، مفتخراً بنفسه وشجاعته قائلاً :

ألا هَلْ مُنْكِرٌ يَابْنَيْ نِزَارٍ، مقامي، يومَ ذلكَ، أو مقالي؟

ألمْ أثبتْ لها،والخيلُ فوضى، بحيثُ تخفُّ أحلامُ الرجالِ؟

تَرَكْتُ ذَوَابِلَ المُرّانِ فِيهَا مُخَضَّبَةً ، مُحَطَّمَةَ الأعَالي

وَعُدْتُ أجُرّ رُمْحي عَن مَقَامٍ، تحدثُ عنهُ رباتُ الحجالِ

فقائلةٍ تقولُ " أبا فراس " أُعيذ عُلاك من عينِ الكمال !

وَقَائِلَةٍ تَقُولُ : جُزِيتَ خَيراً لقدْ حاميتَ عنْ حرمِ المعالي !

وَمُهرِي لا يَمَسّ الأرْضَ زَهواً، كَأنّ تُرَابَهَا قُطْبُ النّبَالِ[2]

ففي الأبيات السابقة يذكر أبو فراس معاركه وبأنه كان قائدا متسيدا ببني نزار مفتخرا بنفسه وشجاعته وثباته أمام الأعداء، فعندما تشتد الصعاب يكون هو الأشد تاركا وراءه رماحاً ملطخه بدماء الأعداء، ومن الملاحظ أنه يفخر بنفسه بصوره مغايرة لما عهدناه، وذلك **بقوله** :(**تحدثُ عنهُ رباتُ الحجالِ**)، أي:عندما يجعل المرأة تشهد بفروسيته ومجده، ثم يقول واصفاً خيله بأنها من شدة زهوها لا تمس الأرض..،كما يتضح من الأبيات السابقة أنَّ تذكره مجده وماضيه ممزوج بفخره بنفسه.

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص213-214.

[2] المصدر السابق ، ص283-284.

كما يرتبط تذكره لمجده السابق بتذكر الأماكن التي كان لها ذكرى جميله عنده، تلك التي لا يمكن أن ينساها، فيذكرها رغم عجزه بإرجاع تلك الأيام إلا أنه يستمتع بوصفها قائلا :

تلك المنازل والملا عب لا أراها الله محلا

أوطنتها ،زمن الصبا؛ وجعلت "منبج" لي محلا

حيث التفت رأيت ما ءً سابحاً، وسكنت ظلا [1].

يُعبر الشاعر في الأبيات السابقة عن تذكره للأماكن العالقة في ذهنه التي عاش فيها أياماً جميلة، داعيا الله أن يحفظها من كل مكروه و زوال،ويخص بذكره "منبجا" واصفا إياها بأنها محله وموطنه ومسقط رأسه، ثم يصفها بمائها السائح وظلها الظليل،فيجعلها المكان المثالي الذي لا ينساه بكل تفاصيله بل كل تفاصيله عالقة في ذهنه، وذلك دليل على شوقه لها وحنينه إليها.

وهكذا كان "ذكر الماضي يدفعه إلى الفخر به، وذكر بلائه الحسن فيه، وذلك ضرب ولا ريب من ضروب التسلية، تخفف اللوعة على نفوس المحرومين" [2].

كما أن شخصية أبي فراس شخصيه تذكر ماضيها وذلك بالرجوع إلى أيام الصبا، فنجد شعره يحمل مشاعره ويتحدث عنه وشوقه وتحسره على ماضيه، فلقد ترك الأسر كثيراً في قلبه من معاناة القيد والغدر والخيانة، فنجده يتذكر مجده من خلال ذكر الأماكن التي لها مكانة في قلبه قائلاً :

لأيِّكم أذكرُ ؟ وفي أيِّكم أفكرُ؟

وكم لي على بلدتي، بكاء ومستعبرُ؟

ففي حلب عدتي، وعزي، والمفخرُ

وفي"منبجٍ"مَنْ رضا هـ أنفس ما أدّخُرُ

ومَنْ حبُّه زلـفة ، بها يكرم المحشرُ[1]

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص327.

[2] شاعر بني حمدان، أحمد أحمد بدوي ، ص68.

يذكر أبو فراس معلناً شوقه لأهله ولوطنه، فإنه لا يدري عمن يتكلم وفيم يفكر؟ لكنه مشتاق لكل شيء، ويصف أحبابه، ويذكر الأماكن القريبة إلى قلبه فلفظة "حلب" رمز لشوقه لسيف الدولة ، و"منبج "يتذكرها لاشتياقه لأمه الغالية البعيدة عنه .

وهكذا نجد أن الشاعر قد تناول بتذكره لمجده السابق من عدة مواقف عاشها معبرا عنها من خلال شعره بانكساره وعجزه وتحسره أمام إرجاع تلك الأيام التي قضاها والأمجاد التي حققها،ويتضح من"هروب الشاعر إلى الماضي والفخر به أكبر سلاح له ضد الحاضر، وإحدى وسائله للخلاص من الكآبة،كما أنه وسيلة لاسترجاع شيء من ذكريات حياة مشرفه مفعمة بالبطولات والتفاعلات" (2).

وهكذا يتسم ذكره لماضيه بنبرة حزن وألم، على الرغم من أنه يطبعها بطابع الفخر؛ ليخفف المعاناة ولوعة الأسر، وكان لأسره يد في خلود سيرته، كما أن الشعر كان له أبرز أنيس وصديق في أسره.

وأخيراً يتضح من دراسة صور الانكسار في شعر أبي فراس الحمداني لجوء الشاعر إلى صور متعددة ومتنوعةلم تكن على وتيرة واحده؛ وذلك ليجسد في كل صوره معاناته، ويشرح من خلالها ما يدور في نفسه، لذلك نستطيع أن نقول إن صور انكساره كانت انكساراً مع أمل، وليس انكساراً مع يأس، ولم ينكسر الشاعر بمعنى أنه انهزم وضعف، بل انكساره يتمثل في عجزه عن الخلاص من الأسر، فعبر عن ذلك بصور عدة منها:عتابه لسيف الدولة مطالباً إياه بالفداء، ورسائله لأمه لطمأنتها وتصبيرها على حاله، وكذلك وصفه لحالها وعدم تحقيق رغبتها في فكاكه وخلاصه من الأسر، وتذكره لمجده وأيامه السابقة، فجميع تلك الصور كانت من أبرز الوسائل للكشف و التعبير عن ذاته المنكسرة التي تتمثل في عجزه عن الخلاص من الأسر،

(1)ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص206.

(2) أثر الاغتراب في شعر أبي فراس الحمداني ، مظاهره وسماته الفنية ، الجوهرة عبدا لعزيز المعيوف ، جامعة الملك سعود ، د.ط ، 1419هـ-1998م ، ص110.

معبراً عن ذاته المرتبطة بحاجته الشعورية في أهم جوانب حياته،كما عد الثعالبي صاحب يتيمة الدهر قصائد أبي فراس من غرر الشعر،" وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه عن صدر حرج،وقلب شج، تزداد رقة ولطافة، وتبكي سامعها وتعلق بالحفظ لسلاستها"[1].

كما امتازت أشعار أبي فراس (بالجودة وظهر ذلك من خلال النصوص الشعرية التي نظمها، وذلك لأن موهبة الشعر تكون في أجمل أشكالها عندما يقع الشاعر في ظروف تثير تلك المشاعر، وعليه كانت صور الانكسار مرآة تعكس جوانب خفيه من مختلف جوانبها، كما تعكس عواطف الشاعر، وما يتنازع في قلبه من عواطف شتى، ونجح الشاعر في نقل عواطفه بكل صدق وأمانة يندر وجودها في شعر غيره من الشعراء)[2].

كما تحدث الدكتور زكي مبارك عن أسر أبي فراس قائلا: "وما قرأت روميات أبي فراس إلا تمثلت زوال الجبال، تمثلت عنفوان الفارس الفاتك الذي قضت الأقدار بأن يمسي وهو في ظلمات من ذلة الأسر، وهزيمة القلب وانصهار الروح، لا تذكروا آلام المتنبي، ولا أشجان المعري، ولا وجد ابن زيدون،كل أولئك أحمالهم خفاف بجانب ما حمل أبو فراس، وما ظنكم بقائد عظيم يذله الأسر"[3].

كما كان لأسره أثر في خلود أدبه كما قال البستاني: " أساس خلوده الأدبي؛ لأنه لولاها لما ترك شيئاً يميزه من الشعراء العاديين، ولما نفح الشعر العربي بهذا اللون العاطفي الجديد الراشح

بصدق الإحساس ولوعة الألم والشكوى، المصور لشقاء الشاعر في أسره تصويراً واقعياً ملخصاً تصويراً يشف عن حبه لوالدته ، وحبيبته ووطنه والحنين إليهم، ويبرز عزة نفسه ،وإباءه وفخره

(1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،للثعالبي، مرجع سابق، ص85.

(2) ينظر : تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد، إعداد عمر عبد الله عامر عبد الله ، ص74.

[3]الموازنة بين الشعراء، د. زكي مبارك، ط1، بيروت: دار الجيل ،1993م،ص272.

وعتابه لابن عمه الذي أهمل افتداءه، ويتجلى فيه صبره على الآم الأسر، وثقته المكينة بالله عز وجل "[1] .

[1] الأدب العربي " تاريخ ونصوص " العصر العباسي ، بطرس البستاني ، دار الأفاق ،(د ط)،(د ت)، ص99.

الفصل الثالث

عناصر الإبداع الفني في شعر أبي فراس الحمداني

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المعجم الشعري

المبحث الثاني : الصورة الشعرية

أ. مصادر الصورة

ب. وسائل تشكيل الصورة

المبحث الثالث : الموسيقى

أ. الموسيقى الخارجية (الأوزان – القوافي)

ب. الموسيقى الداخلية (التكرار – المحسنات البديعية)

مما لاشك فيه أن حياة الشاعر مليئة بالأحداث، وتعاقب حاله بين يأس وأمل وانتصار وانكسار، مما ساعد الشاعر على اختيار أساليب و عناصر إبداع فني تميز بها، وإن " أولى مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه، فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق وأهم من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية في العصر الحديث، وذلك أن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به، بالإضافة إلى ما يفيده من الاعتماد على دلالات القرائن وما يمكن أن تضيفه هذه الدلالات–علاوة على الدلالة الأصلية العامة – عن طريق موسيقى التعبير، وموقعه، وتآزر كلماته، وأثر ذلك كله في التصوير " [1].

كما لعبت البيئة المحيطة بالشاعر دور مهم في توليد عناصر الإبداع الفني التي تبرز بعدة أوجه وهي: المعجم الشعري ومدى توظيفه في شعره، والصورة الشعرية ومدى توظيف الشاعر لها، والموسيقى ومدى توظيف الشاعر لها في شعره .

[1] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال، ط6 ، القاهرة : نهضة مصر، 2005م، ص 386.

المبحث الأول :المعجم الشعري.

المعنى المعجمي:"هو المعنى الأولي للكلمة أو المعنى الذي تدل عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم وعن طريقها نتوصل إلى معرفة مفاتيح الكلمات المرتبة ضمن قوائم المفردات في النظام المتبع" [1].

وظروف أبي فراس وحياته جعلت معجمه الشعري ذا أثر قوي،كما أن لمعجمه الشعري أهمية ومكانة في الكشف عن الإبداع الفني الذي برع فيه أبو فراس، واستخدامه للغة الشعرية المناسبة للموقف الذي يقوله، وملء صوره بعدد كبير من الألفاظ التي تعطي للمعنى معاني متعددة إذا كان للفظة أكثر من معنى، فالشاعر يعلم بأهمية اللغة ويجعلها تخدم المعنى الذي يريده، وهذا المبحث يدرس بعض ألفاظ الشاعر المتمثلة في بعض صور الانتصار والانكسار، وتكمن أهمية هذا المبحث في عدة مستويات :

- يُعدُّ للقارئ مدخلاً للوصول إلى عناصر الإبداع .

- يتعرّف على الحصيلة اللغوية التي يستقي منها الشاعر مادته .

وللمعجم الشعري أهمية كبيره عند الشاعر، فهو "ميدان الشاعر، على أرضيته تتم ولادة القصيدة، فمن خيوطها ينسج الشاعر أديمه، ومن شرايينها تتدفق الحياة في عروقه، وعلى قدر ثرائها تتوافر حيوية دافقة في قلب الكيان الشعري " [2].

[1] علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا- بنغازي، 1995 ،ص 83 .

[2] التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، د.عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر،1421هـ -2000م، ص39.

كما أن " لغة الشعر تختلف باختلاف تجارب الشاعر ذاتها، تلك التجارب التي تؤدي إلى إبداع قصيده لها لغتها الخاصة بها، ولا تشاركها تركيباتها لغة الشاعر في قصائد الأخرى " [1].

والقارئ لديوان أبي فراس الحمداني يعي بأن الشاعر نظم شعره على صورتين من حياته :

أ-صور الانتصار، وكان أكثرها قبل الأسر وقليل منها بعد أسره، كما اشتملت على مجموعة من الأشعار مختلفة المواضيع منها الفخر بنفسه وقبيلته وبانتصاراته .

ب- صور الانكسار، وكانت بعد أسره، واشتملت على عدة موضوعات، كالفخر إلا أن الغالب عليها العتاب، ورثاء أمه، وتذكر مجده السابق .

ومن هذا المنطلق جاءت أشعار أبي فراس الحمداني وكلماته في معجمه الشعري مزيجاً بين معاني الفخر والفروسية وبين معاني العتاب وتذكر الأحباب والحنين لأيامه السابقة، وعلى هذا سأحاول الوقوف على بعض وأبرز ما تميز به معجمه الشعري في كلتا الصورتين :

أ- المعجم الشعري في بعض صور الانتصار :

المعجم الشعري لصور الانتصار يشتمل على مجموعة من الأشعار التي نظمها الشاعر قبل الأسر وبعده في مختلف الموضوعات، لكن كان محورها الفخر بنفسه أو قبيلته أو بانتصاراته كما نلاحظ أن ألفاظ أبي فراس فيها قوه وجزالة، وخاصة حين يوظفها في سياق لغوي، يظهر في موضوعات فخره مثلاً استخدامه لألفاظ قوية فخمه يعتز بها، والشاعر أبو فراس يحسن اختيار الكلمة ذات الإيحاء المناسب لتجربته الشعورية، مما يكسب شعره قوة إيحائية يستشعرها القارئ لشعره، فمن تلك المضامين التي تمثل فخر الشاعر، قوله :

[1] لغة الشعر العربي، د.عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر ، مدينه نصر، ط1، 2006م، ص 85.

وإنـي لـجرارٌ لكـلِّ كتيبةٍ معودةٍ أنْ لا يخلَّ بها النصرُ

وإنـي لنـزالٌ بكـلِّ مخوفـةٍ كـثيرٌ إلى نزالها النظرُ الشزرُ

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ[1]

وهكذا نرى أنَّ الشاعر قد استخدم في الأبيات السابقة ألفاظاً(جرارٌ،نزالٌ ، مخوفةٍ..) توحي بالفخر والقوه وكثرة الانتصارات،كما عبر عن شجاعته وحسن بلائه التي حققها في ألفاظ قويه توحي بالبطش والشدة .

ونلاحظ أن فخر أبي فراس بنفسه وبقبيلته وشجاعتهم جعل معجمه الشعري ثرياً بالألفاظ التي تخلد مأثره ومآثر قومه، فقد استخدم أبو فراس ألفاظاً ذات إيحاء مناسب لتجربته الشعرية، كما أنه كان يركز على الألفاظ التي تدور في إطار تجربته،مما يكسبها طاقات وإبداعات، ويثري المعجم الشعري بحيث يستشعرها القارئ لشعره.

فمن أكثر الألفاظ تواتراً نظرا لظروف أبي فراس ووقائعه ألفاظ (الحرب)؛وذلك نتيجة فخره بفروسيته ومعاركه وشجاعة قبيلته أمام خصومهم، ولإثبات قوتهم في الحروب، فها هو ذا يفخر بقومه ويؤكد علمهم بفنون الحرب والقتال، وذلك عندما وقعت بينه وبين الدمستق ملك الروم مناظرة وهو في أسره [2]، مثبتاً فخره بهم في أبياته قائلاً :

أتـزْعُمُ، يـا ضخمَ اللّغَادِيدِ، أنّنَا وَنحن أُسودُ الحرْبِ لا نَعرِفُ الحرْبَا

فويلكَ؛منْ للحربِ إنْ لمْ نكنْ لها؟ ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا؟

ومنْ ذا يلفّ الجيشَ منْ جنباتهِ؟ و منْ ذا يقودُ الشمَّ أو يصدمُ القلبا؟

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ، ص212.

[2] سبق الحديث عن تلك المناسبة، ص25.

وويلكَ؛منْ أردى أخاكَ" بمرعشٍ" وَجَلّلَ ضرْباً وَجهَ وَالدِكَ العضْبَا؟

وويلكَ منْ خلى ابنَ أختكَ موثقاً؟ وَخَلاّكَ بِاللَّقَّانِ تَبْتَدِرُ الشِّـعبَا؟

أتوعدنا بالحربِ حتى كأننا وإياكَ لمْ يعصبْ بها قلبنا عصبا؟

لَقد جَمَعْتنَا الحَرْبُ من قبلِ هَذِهِ فكنا بها أسداً؛وكنتَ بها كلبا[1]

في الأبيات السابقة يطغى على القصيدة جانب الفخر، على الرغم من تعبير الشاعر عن أوجه من الحروب والنزاعات مع الأعداء، فالحرب والدفاع عن النفس هو الوجه الأساس الذي يستدعي الفخر بالقوة والتعبير عن الانتصار الذي حققوه،فنلاحظ استعماله للفظه الحرب في أكثر من موضع إلا أنها في كل موضع تعبر عن معنى مغاير فكلمه (الحرب)الأولى تعبر عن الفخر بشجاعتهم، وأما الحرب الثانية ففيها تحذير لخصومه من خلال سؤاله من هم أصحاب الحرب إن لم نكن نحن، ثم في قوله:(أتوعدنا بالحربِ) يستخف ويستهزئ أبو فراس من الوعيد ،وأخيرا يوظف أبو فراس الحرب بجعلها فاعلاً للفخر وتذكير أعدائه بالغلبة عليهم، وكذلك الألفاظ الأخرى التي جعلت تحتها خطوطاً فكلها تدل على الحرب، أو ضمائر تعود على الحرب، أو أحداث وقعت أثناء الحرب.

و تكثر الألفاظ الدالة على صور الانتصار والفخر، فمعجمه الشعري يمتاز بكثرة ألفاظ الفخر على مختلف صوره، وذلك تبعاً لكثرة أشعاره في جانب الفخر، كما أن ألفاظ الشاعر أبي فراس الحمداني غنية بالدلالات، وقد عبر الشاعر من خلالها عن أنواع الفخر المختلفة من فخر بنفسه وفروسيته وقبيلته وانتصاراتهم، كما أنه في كل الأحوال كان موفقاً في حشد الألفاظ الخادمة للسياق.

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ، ص36.

ومما يسترعي الانتباه حضور مفردات الفخر عند الشاعر،إما بلفظ(السيف)، أو ما ينوب عنه:(الصوارم، سيوفنا، البيض، القنا، الأسنة، الحسام، السيوف...)،ومثال ذلك قوله :

وَصِنـاعَتي ضَرْبُ السّيُوفِ وَإنّني مُتَعَرّضٌ في الشّعْرِ بِالشّعَرَاءِ [1]

وفي موضع آخر يقول :

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ[2]

فمن المعلوم أن الفروسية لدى أبي فراس عنصر مهم، بينما الشعر مكمل له، وألفاظه ومفرداته كانت تمثل أبرز أدوات فروسيته وحروبه، ونجد أن الشاعر وفق في اختيار ألفاظ ذات دلالات على الانتصار، فهذه ألفاظ موغلة في الانتصار .

وأبو فراس يتباهى ويتفاخر بنفسه وبفروسيته وبقبيلته فـ" يثير الفخر نازع كالإعجاب بالنفس، أو الشعور بالنقص، أو إثارة الغامزين أو تحدي المعارضين..، وذات المفتخر هي أولى الذوات بأن تكون ذلك المحور " [3].

كما ظهر تأثير فروسية أبي فراس في شعره بشكلٍ واضح، وفي بناء معجمه الشعري:" فالحركة الفنية سريعة، والإشارات إلى واقع الفعل موجزة بعيدة عن الخيال والتصنع،كما أنّ العنفوان والقوة والإيجاز أمور وحدت بين حياة أبي فراس وشعره، فقد كان يستهجن المبالغة في الشعر على حساب الواقع، ففارس اللفظ يجب أن يكون فارس الوقائع "[4].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ،ص9.

[2] المصدر السابق ، ص212.

[3] التكرير بين المثير والتأثير،د.عز الدين علي السيد ،ط1، بيروت: عالم الكتب، 1398هـ-1978م، ص176.

[4] شعر أبي فراس الحمداني دلالاته وخصائصه الفنية،د. عبد اللطيف عمران، ص ١١

ب- المعجم الشعري لبعض صور الانكسار:

نلاحظ أن المعجم الشعري لصور الانكسار كان بعد أسر أبي فراس لدى الروم، ووقوعه تحت وطأة القيد، فقد نظم أبو فراس أشعاراً في أسره، وكان الغالب عليها عتابه لابن عمه ورثاؤه لأمه؛لأن" ما نظمه في أسره كان فلذة مسلوخة من جوانب قلبه يرسلها دماً وحرارة وصدقاً ومناجاة وشكوى، يلفها الوجدان، وتستقر فيها التأوهات والنبضات، معبرةً عن عالمه الشخصي وكيانه الشعوري "[1] .

ومما يلفت الانتباه أن أبا فراس على الرغم من أسره وألمه وحزنه وعجزه وانكساره إلا أن المعجم الشعري الذي تميزت به أشعاره التي نظمها وهو في أسره كانت تتسم بالقوة، فهي لم تنكسر أبداً، بل على النقيض تماماً، فإننا نلاحظ أن المأساة التي عاشها والظروف التي مر بها جعلت ألفاظه أكثر قوه،وبذلك نستطيع القول بأن أبا فراس كلما زادت حدة الظروف والمأساة زادت قوة ألفاظه معبرةً عن تجربته التي يعيشها .

كما نجد أبا فراس يخاطب ابن عمه بألفاظ قويه معاتباً ولكنه العتاب الذي يلبسه الشاعر ثوب الفخر الذاتي الرَّائع فها هو ذا يقول:

يا ضَارِبَ الجَيشِ بي في وَسْطِ مَفرِقِهِ لقدْ ضربتَ بنفسِ الصارمِ العضبِ

لا تَحرُزُ الدّرْعُ عَني نَفسَ صَاحبِها وَلا أُجِيرُ ذِمَامَ البِيضِ وَاليَلَبِ

و لا أعودُ برمحي غيرَ منحطمٍ و لا أروحُ بسيفي غيرَ مختضبِ

حَتى تَقُولَ لَكَ الأعْداءُ رَاغِمَةً "أضحى ابنُ عمكَ هذا فارسَ العربِ"[2]

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ص8.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني ،ت: سامي الدهان ،ص44.

الأبيات السابقة عامرة بألفاظ قويه منها:(ضارب، ضربت، العضب، ...) التي تعبر عن عتابه لابن عمه، وعدم مفاداته له على الرغم من أنه فارس شجاع يعتاد الانتصار،حتى إن الأعداء تشهد بأنه فارس مغوار، بل تشهد بأنه فارس العرب جميعاً، فمن الجميل أن أبا فراس الحمداني يستخدم معجمه الشعري حسب الموقف، ويأتي به مناسباً للموضوع والموقف الذي هو بصدده؛ إذ " لكل نوع من معاني شعره نوع من اللفظ هو أخص وأولى، وضروب من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى "[1].

ومن المواضع التي تصف معاناة الشاعر في أسره :

مغرمٌ ، مؤلمٌ ، جريحٌ ، أسيرٌ إنّ قَلْباً، يُطِيقُ ذا، لَصَبُورُ[2]

إن القارئ لشعر أبي فراس الحمداني يشعر بنبرة الألم والحزن التي لقيها بعد أسره، من خلال شعره معبراً عن ذلك أنه بعدما كان أميرا وقائداً أصبح أسيراً بين أعدائه (الروم)، فنجد أنه جسد معاناته وألمه في مجموعة من القصائد التي نظمها وهو في أسره، وصحيح أنه وإن كان جسده قد أسر فإن لسانه لم يؤسر، بل ظل طليقاً حراً معبراً عن انتصاراته العديدة ومواقفه الكثيرة التي تشهد له بالفروسية والإقدام .

كما نسج أبو فراس وهو في أسره لتلك الأحداث بألفاظ قويه، منها:(الأسير، الأسر، أم الأسير، أسرت،...) حيث إن أكثر الألفاظ وهو في أسره لفظة (أسير)، لكنه يتبعها دوماً بما يناقضها من ألفاظ تجسّد إحساسه بالفخر على الرغم من أسره، ولنا أن نقارن بين هذه الألفاظ وتلك في قوله :

إنْ زُرْتُ «خَرْشَنَةً» أسِيرَا فَلَكَمْ أحَطْتُ بها مُغِيرا

[1] أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي، ص398.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ،ص205.

وَلَـقَدْ رَأَيْتُ النّارَ تَـنْ تَهِبُ المَنَازِلَ وَالقُصُورَا

وَلَـقَدْ رَأَيْتُ السّبْيَ يُجْ لَبُ نحونا حوَّا،وحورا

نَخْتَارُ مِنْـهُ الغَـادَةَ الْ حسناءَ،والظبيَ الغريرَا

إنْ طالَ ليـلي في ذرا كِ فقدْ نعمتُ بهِ قصيرا

ولئنْ لقيتُ الحزن فيـكَ فقدْ لقيتُ بكِ السرورا

وَلَئِنْ رُمِيتُ بِحادِثٍ، فلأَلـفينَّ لهُ صبورا

صـبراً لعـلَّ اللهَ يفـ تحُ بعدهُ فتحاً يسيراً

منْ كانَ مثلي لمْ يبتْ إلاّ أَسِيراً، أوْ أَمِيرا [1]

في الأبيات السابقة من خلال لفظة(أسير) وما يناقضها،نستدل على أن أسره "المركز أو الدائرة التي انطلق منها ليثبت ذاته، ويتغنى بعظمته ويرسم شخصيته بكل ما فيها من أمال وألام وطموحات وشكوى وحنين وهتاف نفس"[2]،كما يبين أنه أسر في خرشنة، على الرغم من أنه كان في السابق يدخلها غازياً بكل شجاعة وقوة، حارقاً المنازل والقصور، وسابياً الحوَّ و الحور، وإن كان قد دخلها الآن أسيراً، فكم دخلها أميراً، كما أنه يغمره الصبر منتظرا للفرج، فما أجمل الإباء والسمو على الرغم من القيد والأسر .

وفي موضع أخر يأتي بلفظ الأسر متبعاً هذه اللفظة بما يناقضها على عادته دوماً من مزج الإحساس بالانكسار بالإحساس بالانتصار على الرغم من الأسر ،يقول :

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص208 -209.

[2] الشعر العباسي " قضايا وظواهر "، عبد الفتاح صالح نافع،ط1، الأردن- عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2008م ،ص231.

أسرتُ وما صحبي بعزلٍ،لدى الوغى ، ولا فرسي مهرٌ، ولا ربهُ غمرُ !

ولكنْ إذا حمَّ القضاءُ على أمرىءٍ فليسَ لهُ برٌّ يقيهِ ، ولا بحرُ !

وقالَ أصيحابي:" الفرارُ أوالردى ؟" فقُلتُ: هُمَا أمرَانِ، أحلاهُما مُرّ

وَلَكِـنّني أمْـضِي لِمَا لا يَعِيبُني، وَحَسبُكَ من أمرَينِ خَيرُهما الأسْرُ

يقولونَ لي:" بعتَ السلامةَ بالردى" فَقُلْتُ: أمَا وَاللهِ، مَا نَالَني خُسْرُ

وهلْ يتجافى عني الموتُ ساعةً ، إذَا مَا تَجَافَى عَنيَ الأسْرُ وَالضّرّ؟

هُوَ المَوْتُ،فاختَرْ ما عَلا لك ذِكْرُه، فلمْ يمتِ الإنسانُ ما حييَ الذكرُ[1]

وهكذا تؤازر ألفاظ الانتصار شاعرنا الفارس فتنقذه من الإحساس بالانكسار، والضعف وهكذا يعبر أبو فراس في الأبيات السابقة عن سبب أسره، ويعلِّل بأنه قضاء الله وقدره، فلم يكن سبب أسره في نقص سلاح أو قلة خبرة قتالية من أصحابه أو صغرسنه أو قلة تجربته في أرض المعركة، فقد كان يستوعب جيدا مدى إمكاناته عند خوض المعركة، كما أنه مؤمن بالموت وبالتالي لم يفضل الفرار بل راح يدافع عن نفسه وأصحابه إلى أن أصيب، إذْ نلاحظ حرص أبو فراس على تصوير الواقع مع قوة شخصيته التي لم تنسحب ولم تنهزم ، فكان للأسر "الأثر في مد شاعريته وإخصابها بدفق جارف من الأفكار والموضوعات والصور والأحاسيس التي كادت أن تمثل مرحلة الذات عند الشاعر ومرحلة الجماعة أيضاً " [2]

كما عبر أبو فراس وهو أسير بألفاظ تبين سبب أسره، وكانت الألفاظ توحي بمرارة العيش والحزن الشديد من واقع الأسر المرير، مما جعل ألفاظه تنبع من قلب صارع الوحدة والشوق

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ،ص213.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم عباس عبد الستار ، ص8.

وفراق الأحبة، وكان من أبرز الألفاظ التي تعبر عن حاله وألمه قصيدة "الحمامة "التي يقول فيها :

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ: أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟

معاذَ الهوى!ماذقتِ طارقةَ النوى، وَلا خَطَرَتْ مِنكِ الهُمُومُ ببالِ

أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ على غصنِ نائيّ المسافةِ عالِ ؟

أيا جارتا،ما أنصفَ الدهرُ بيننا ! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ،تَعَالِي!

تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لَدَيّ ضَعِيفَةً، تَرَدّدُ في جِسْمٍ يُعَذّبُ بَالي

أيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكي طَلِيقَةٌ، ويسكتُ محزونٌ،ويندبُ سالِ؟

لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مقلةً؛ وَلَكِنّ دَمْعي في الحَوَادِثِ غَالِ![1]

فهذه الأبيات عامرة بالألفاظ التي توحي بمرارة العيش الشديدة التي عاشها الشاعر، وعبر عنها بألفاظ يغمرها الحزن والانكسار والعجز، ومنها: (ناحت، هموم، محزون، أقاسمك الهموم، ...) كما أن القصيدة السابقة سجلت أصدق وأدق المشاعر بين الشاعر الأسير، والحمامة النائحة.

كما أن من أبرز السمات لدى أبي فراس في معجمه الشعري (التكرار)؛ إذْ يعد "التكرار من الوسائل التعبيرية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دوراً واضحاً، فتكرار لفظة ما أو عبارة ما يوحي بشكل أول بسيطرة العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره"[2].

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص325.

[2]عن بِنَاء اَلقصيدة اَلعربية اَلحديثة،علي عشري زايد، ط 1، القاهرة: مكتبة ابن سينا، 1423 هـ، ص58 .

فالتكرار" أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير ..، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار" [1].

ومواضع تكرار أبي فراس في شعره كثيرة سواءً أكان معبراً عن نفسه مفتخراً بشجاعته وفروسيته،أمْ كان معبراً عن ألمه وحزنه وانكساره، ومما لاشك فيه أن التكرار في شعره جاء بعدة مواضع لتلك الصورتين، وإننا نجد مثال تلك الصورتين في قصيدة واحدة وهي على سبيل المثال لا الحصر تحكي حالتين واصفا بها نفسه، فمثال الصورة الأولى التي تعبر عن فخره بنفسه وبانتصاراته متحدثاً على لسان أمه التي تراه الشجاع القوي ..، معبراً عن ذلك بقوله :

يامَن رَأى لي بِحِصنِ خِرشَنَةٍ أُسدَ شَرىً في القُيودِ أَرجُلُها

يامَن رَأى لي الدُروبَ شامِخَةً دونَ لِقاءِ الحَبيبِ أَطوَلُها

يامَن رَأى لي القُيودَ موثَقَةً عَلى حَبيبِ الفُؤادِ أَثقَلُها[2]

يكرر أبو فراس محاولاً إثبات شجاعته وفروسيته أمام تساؤلات أمه المشتاقة إليه، نرى أبا فراس يكرر قوله:" يامَن رَأى لي" في عدة أبيات وهنا نلاحظ على(التكرار أنه أدى دور التنفيس عمَّا في داخله معبرا عن شدة تعلق والدته به، وتساؤلاتها الملحة عنه، فهي تسأل

[1] التكرير بين المثير والتأثير،د.عز الدين علي السيد ،ص 136.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص331.

الركبان عن ابنها، وهو أسير من أسرى المسلمين، بينما يكرر أبو فراس صيغة التساؤل الذي لا يكاد تغير، وكأنما حددت أمه هدفاً واحداً بتكريرها للسؤال بدون تغير)[1] .

ومثال الصورة الثانية التي يعبر بها عن حزنه وألمه وانكساره لانكسار أمه عن ملاقاته وسؤالها للركبان عنه، فيقول الشاعر أبلغوها بذكري لها،مكررا قوله (يا أمتا) التي ينادي بها أمه بنبرة حزن وألم على الفراق، فهو حزين لحالها، معبرا عن ذلك بقوله :

يا أَيُّـها الراكِبانِ هَل لَكُما في حَمَلِ نَجوى يَخِفُّ مَحمَلُها

قولا لَها إِن وَعَت مَقالَكُما وَإِنَّ ذِكـري لَـها لَيُـذهِـلُها

يـا أُمَّـتا هَذِهِ مَنازِلُنـا نَـتـرِكُها تـارَةً وَنَـنزِلُـها

يـا أُمَّـتا هَذِهِ مَوارِدُنا نَـتعُلُّتها تـارَةً وَنُـنهَلُها [2]

إذا كرر الشاعر شيئاً بعينه فلابدّ أن يكون له دلالته الخاصة، فإمّا أن يدل على قرب العائد إليه من نفس الشاعر، أو عن موقف الشاعر اتجاهه كما في الأبيات السابقة.

كما استطاع أبو فراس استخدام التكرار وتوظيفه بصورة مناسبة كما في قولة :

بَني عَمّنا ما يَصْنعُ السّيفُ في الوَغى إذا فلَّ منهُ مضربٌ وذبابُ ؟

بَني عَمِّنا لا تُنكِروا الحَقَّ إِنَّنا شِدادٌ عَلى غَيرِ الهَوانِ صِلابُ

بَني عَمّنَا نَحْنُ السّوَاعِدُ والظُّبَى ويوشكُ يوماً أنْ يكونَ ضرابُ [3]

(1) ينظر:شعر جهاد الروم حتى نهاية القرن الرابع الهجري في موازين النقد الأدبي، د.عبدالله بن صالح العريني، ط1، الرياض: جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، 1423هـ -2002م، ص438.

(2)ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ،ص331.

(3) المصدر السابق، ص23.

فكرر أبو فراس (بني عمنا) ثلاث مرات رغم اختلاف مضونها في كل مرة، وإن كان السياق العام يجمعها، ففي المرة الأولى يستفهم مستنكراً،وفي المرة الثانية ينفي، وفي البيت الأخير يؤكد؛ وذلك ليوازن بين استنكاره في المرة الأولى، ونفيه في الثانية، وبذلك خلق جوا واضح التأثير على نفوسهم ومن المؤكد أنه لا يقصد بقوله "بني عمنا "إلاَّ مناداة ابن عمه سيف الدولة الذي آلم شاعرنا سكوته فترة عن إفتدائه .

وفي ختام هذا المبحث نستطيع القول بأن أبا فراس في مختلف صور الانتصار والانكسار استطاع أن يكون لنفسه معجماً شعرياً لم يخرج في كل أحواله عن اللغة القريبة لإفهام الناس فلغته سهلة، ويستشعر المتلقي بجمالياتها وبإيماءاتها الشعورية من خلال الألفاظ ذات الدلالات المتباينة؛ وذلك لاختلاف شخصية أبي فراس قبل الأسر عنها بعد الأسر، كما يلاحظ أن الشاعر أحسن اختيار ألفاظه وأساليبه، فنجد الجزالة والقوه في مواطن الفخر والانتصار، وكذلك في مواطن صور الانكسار، لكن تخيّم عليها نبرة الحزن والعجز والانكسار.

و يتضح مما سبق أن معجم أبي فراس يمتاز" بحسن اختيار الألفاظ وجمال التعبير ، ففيها الجزالة وشدة الأسر في موضع الشدة، وفيها الرقة والسهولة في موضع الحنو"(1)، و(قد نمت طريقة أبو فراس في معجمه الشعري عن طبع يدل على موهبة الشاعر في هذا الفن الرفيع، فصوره تفيض كما يفيض الماء عن الينبوع، فلا تكلف ولا استدعاء للمعاني من بعيد، وكثيراً ما يقصد مراده دون التواء أو تعقيد) [2].

[1] شاعر بني حمدان ، ص171.

[2] ينظر: أبو فراس الحمداني في رومياته، خالد الحليبي ، ص138.

المبحث الثاني :الصورة الشعرية.

تعد الصورة من أهم عناصر الإبداع الفني في شعر أبي فراس، كما أن حياة أبي فراس الحمداني المتقلبة، والظروف التي مر بها جعلت الصورة الشعرية متعددة، فمنها ما يتجه نحو الافتخار بقبيلته وبفروسيته وانتصاراته، وهذا يشكل جانب الانتصار لديه، ومنها ما انعكس عليه من خلال تجربته في الأسر، وهي مرحلة الانكسار والعجز والحزن الذي عاشه، وهذا يتمثل في جانب الانكسار .

ومن المؤكد أن الشعر لا غنى له عن الصورة الشعرية :" فالصورة حقيقة الشيء وهيئته وصفته "[1]، و"الصورة الشعرية هي كل ضرب من ضروب المجاز يتجاوز معناه الظاهر، ولو جاء منقولا عن الواقع، تفاصيله الجزئية مهما كانت دقيقة فهي دالة على معنى كلي"[2].

وتتعدد مصطلحات الصورة الشعرية في النقد الحديث،ومنها الصورة الفنية والصورة البلاغية وغيرها، إلا أن هذا التعدد واختلاف التسمية يجمعها مصطلح في كونها " نسخة جمالية إبداعية، تستحضر الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع "[3].

وللصورة الشعرية أهمية ومكانة بالغة، فهي تمثل" دوماً موضوعا مخصوصا بالمدح والثناء، إنها هي وحدها التي حظيت بمنزلة أسمى من أن تتطلع على مراقيها الشامخة باقي الأدوات التعبيرية

---

[1] لسان العرب لابن منظور، باب الصاد، مادة (ص و ر) مج4، ج28، ص 2523.

[2] الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، د.ساسين سيمون عساف، ط 1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات ، 1982م، ص32.

[3] الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، المركز الثقافي العربي،ط1، لبنان –بيروت: 1997م، ص99.

الأخرى، والعجب أن يكون هذا موضوع إجماع بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات مختلفة، ولهذا أمكن القول إن الصورة الشعرية كيان يتعالى على التاريخ" [1].

و"الصورة عنصر عمدة لا يخلو منه العمل الأدبي، وطابع أجبل في أي إبداع شعري، وهي وعاء الأديب الذي ينقل به مشاعره وإحساسه"[2].

ونحاول في هذا المبحث التعرُّف على فكر أبي فراس الحمداني، والصورة الشعرية في شعره تجعلنا نقف على التجارب الشعرية، إذ إن الصورة الشعرية تحاكي حال الشاعر وما يدور في عقله وقلبه من أحاسيس،(إذ يشكل أبو فراس ذلك الركام من الأفعال والأحاسيس والأفكار التي تتحاور،كما تتضح الصورة الشعرية عند الشاعر؛وذلك بسبب الظروف التي مر بها، فجعلته ذات ثقافة وخيال مبدع فالخيال يعد مهماً للشاعر في تشكيل الصورة الشعرية)[3].

ومما يضمن الخلود للقصائد وبقائها هو صدق التجربة، "فالشاعر يمثل ما يمر بالنفس الإنسانية من صور وأطياف، والنفس الإنسانيه فيها قوة وضعف وفيها جبروت، والشاعر الحق هو الذي لا يكذب على الطبع " [4].

وليس معنى ذلك أن الخيال يعد كذباً أو عدم الصدق في التجربة، ولكن التجربة الشعورية تكون صادقه ولو في الخيال.

---

[1] الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، تأليف الولي محمد ،،ط1، 1990م ، ص7.

[2] الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ،ط1، الشركة العربية للنشر ، 1416هـ-1996م ، ص 18.

[3] ينظر: موضوعات الصورة الشعرية في شعر طرفه بن العبد ومصادرها، د. إسماعيل أحمد العالم، مجلة جامعة دمشق، مج 18، عدد2، 2002م .

[4] الموازنة بين الشعراء، د.زكي مبارك ،ص278.

والصورة التي قد يشعر بها القارئ المتلقي ويتذوقها، ليست صورة متداولة لكثرة استعمالها، ولكن لها حالة خاصة أبدعها الشاعر وأعني أن المتلقي لا يتذوق حلاوة تلك الصورة إلا عن طريق تفاعله مع تأمل يختلف من شخص لأخر، ولكي تظهر الصورة جميله لابد ألَّا ننشغل بماذا قصد بها الشاعر، وهذا ما يعنيه الآمدي بقوله:" ليس العمل على نية المتكلم، وإنما العمل على توجيه معاني ألفاظه" [1].

لذلك وجدنا التجربة والخيال خير شاهد لرسم صورة شعرية عاشها الشاعر بكل تفاصيلها، فيتضح أن معنى صدق التجربة الشعورية لا يعني المعايشة معها وتجربتها مثل قول أبي فراس عندما اتخذ قناع المرأة ليلبسها همومه ولوعته ومنهم من يرى أن هذا القناع هو الأسر، ولكن ما يهم أن في قصيدته الرائية التي مطلعها :

أراكَ عَصِيَّ الدَّمعِ شِيمتُكَ الصَّبْرُ أما لِلهوَى نهيٌ عليكَ ولا أمْرُ ؟[2]

في تلك القصيدة غزلاً غيرَ مباشر، كما أنه صور" الهوى" بالإنسان الذي يأمر وينهى، وصور الدمع بالإنسان العاصي .

و بناء على ما سبق سأحاول إلقاء الضوء فيما يأتي على طبيعة الصورة الشعرية عند أبي فراس الحمداني من حيث مصادرها و وسائل تشكيلها، وكذلك السمات التي توضح فكرة الصورة الشعرية .

[1] الموازنة بين أبي تمام والبحتري، لأبو القاسم الحسن بن بشر الامدي، تحقيق أحمد صقر،دار المعارف، دط، القاهرة: 1961م، ص 191.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص209.

أ–مصادره الصورة الشعرية :

البيئة :

يعد أبو فراس الحمداني من رجالات العرب الفوارس، وقد مثل الفروسية أصدق تمثيل في المعارك والحروب فنجده قد وقف مفتخراً مدافعاً عن قبيلته وأرضه بالسيف، ونجد في شعره وضوح الصور المتمثلة في الشاعر المقاتل الشجاع المدافع عن قبيلته وذلك لتحقيق النصر، كما شكلت البيئة المحيطة بالشاعر بما فيها من أمكنة ومعالم ومدن عاش فيها سواء أكان قبل الأسر أمْ بعده مصدراً من المصادر التي يستقي منها صوره، فالشاعر تستهويه الحروب والمعارك فنجده يتغنى بالحروب ويتلذذ بها مفتخراً بنفسه، فمن أجمل الصور عنده تلك التي يذوق بها الحرب وهذا دليلٌ على شجاعته، يقول أبو فراس :

ولا تصفنَّ الحربَ عندي *فإنها*, طَعَامِيَ مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وَشَرَابِي[1]

فهو يرى الحرب زاده وشرابه الذي يتغذى منه، فهو يرى أنها طعام لذيذ، بل يرى أنها غذاء له،وتعد التجربة مجالاً للتفريغ والسعي بالشاعر إلى أحسن تعبير، فكل أحاسيسه وخيالاته هي مواقف في حياة الشاعر يترجمها إلى صورة نستشفها ونعيشها من خلال توظيفها في شعره .

كما يصور أبو فراس معاناته التي عاشها في الأسر قائلاً :

وَأَبطَأَ عَنّي وَالمَنايا سَريعَةٌ وَلِلمَوتِ ظُفرٌ قَد أَطَلَّ وَنابُ [2]

نجد في البيت السابق صورة رائعة تظهر الحالة التي مر بها أبو فراس في أسره وفي الوقت الذي يتباطأ ابن عمه في افتدائه وإخراجه من الأسر، تسرع إليه المنايا، مشبهاً إياها بالوحش؛ حيث حذف المشبه به، وهو الوحش وذكر من لوازمه: الظفر والناب، فرسم لنا صورة رائعة

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص29.

[2] المصدر السابق، ص24.

تناسب حالته النفسية، خلاف ما كان عليه في السابق، واختلفت نظرته باختلاف مكانه في الأسر، وهي صوره لاشك في روعتها وجمالها،حتّى لو كان الشاعر قد سُبق إليها فهي صوره للموت معروفة عند من سبقوه فنجدها عند أبي ذؤيْب الهذلي في عينيته التي يرثي بها أبناءه الذين تخطفهم مرض الطاعون إذْ يقول :

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ فَإِذا المَنِيّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ.

الموروث الثقافي :

كان للثقافة أثر واضح ومهم في صور أبي فراس الحمداني، وسجلت حضورها في شعره، و نستطيع أن نعدها من أهم المصادر في الصورة الشعرية، وكما أن أبا فراس " على وعي صائب بلغة قومه وبتراثهم التشكيلي...،فقد كان يحمل تراث قومه الشعري كله على كاهله، ويتحرك به محاولا الوصول إلى كيفية خاصة في التعامل مع اللغة، فظهر في هذا الشعر تأثره بالشعراء الفحول الجاهليين والأمويين والعباسيين "[1].

و للثقافة الدينية أثر واضح في أسلوب أبي فراس، حيث ظهر تأثره بالقرآن الكريم في بعض الأساليب، والذي يدل على سعة ثقافته الدينية، ففي وصيتة التي بعثها إلى أمه بعد أن بلغه حزنها عليه نجده يقول :

أوصيكِ بالصبرِ الجميـ ـلِ ! فإنهُ خيرُ الوصيهْ ![2]

[1] أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي ، ص 397.

[2] المصدر السابق، ص ،435.

فاستفاد في هذا البيت من قوله تعالى : چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ چ(1)، وقول الشاعر لهذا البيت ضمن قوة في المعنى.

وكذلك يبدو تأثر الشاعر بثقافته الدينية في عدة مواقف تظهر لنا من خلال شعره، كما في ذكره" أسماء بنت أبي بكر الصديق" –رضي الله عنها – موصياً أمه بالتأسّي بها قائلاً :

أما لكِ في" ذاتِ النطاقينِ"أسوةٌ ، بـ"مكةَ "والحربُ العوانُ تجولُ ؟

أرَادَ ابنُها أخْذَ الأمَانِ فَلَمْ تُجبْ و تعلمُ ، علماً أنهُ لقتيلُ ![2]

والأبيات السابقة مثال لشعره في أنه يحاكي التجربة الشعورية له، مستدعيا بها شخصيات تاريخية إسلاميه، مثل "أسماء بنت أبي بكر الصديق "، –رضي الله عنها –؛ ليحث والدته على التحلي بالصبر، وعليها أن تصبر كما صبرت" أسماء" –رضي الله عنها–عندما فقدت ابنها،واستدعاء أبو فراس لتلك الشخصية، رغم اختلاف الدلالة إلا أنها تمثل واقعاً يحاكي ذات التجربة التي يعيشها، كما وظفها في صورة تفصح عن مدى انكساره وحزنه وألمه .

كما يجسد أبو فراس صورة يظهر فيها الجانب الديني، راسماً نفسه وهو في أسره، يدعو إلى الصبر ومزاياه التي تربي النفس الإنسانية، وأن الصبر يجعل الإنسان يقبل الحالة التي يعيشها مهما كانت حالته، فمن الملاحظ استحضار أبي فراس للموت بمختلف دلالاته :

هو الموت؛ فاختر ماعلا لك ذكرهُ فلم يمت الإنسان ماحيي الذكرُ

ولا خير في دفعِ الردى بمذلةٍ كما ردها، يوماً بسوءته "عمرو"[3]

---

(1) سورة يوسف،ايه 18.

(2)ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص316.

(3) المصدر السابق، ص213.

كما نجد صورة أعمق تعبر عن الشاعر العاجز وترسم للشاعر نفسيته التي تمثل المعاناة الإنسانية والظروف التي مر بها من خلال قوله :

زَمانِيَ كُلَّهُ غَضَبٌ وَعَتبُ وَأَنتَ عَلَيَّ وَالأَيّامُ إِلبُ

وَعَيشُ العالَمينَ لَدَيكَ سَهلٌ وَعَيشي وَحدَهُ بِفِناكَ صَعبُ

وَأَنتَ وَأَنتَ دافِعُ كُلِّ خَطبٍ مَعَ الخَطبِ المُلِمِّ عَلَيَّ خَطبُ[1]

هنا رسم الشاعر نفسه مصوراً ابن عمه سيف الدولة بالرجل القاسي، فبدلاً من أن يخفف عن الأسير همه وآلامه، أصبح هو ألم له .

وكان أبو فراس يلم كثيراً بأيام العرب وتاريخيها، فأشار كثيراً في أشعاره إلى الوقائع والحروب في العصر الجاهلي، والمعارك التي انتصر فيها المسلمون على الأعاجم، ومن ذلك ماذكره ذلك في قصيدته التي بعثها إلى ابن عمه سيف الدولة يحفزه على قتال الروم، ضارباً بذلك أمثلة عدة؛لكي تحمس وتثير الغضب على الروم ، فيقول :

قَدْ أغضَبُوكُمْ فاغضَبُوا ، وَتأهّبُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَةَ ثَائِرٍ، غَضْبَانِ

ف" بنو كلابٍ" وهيَ قلٌّ أغضبتْ فدهتْ قبائلُ "مسهرِ بنِ قنانِ"

وَ"بَنُو عُبَادٍ"،حِينَ أُحْرِجَ 'حارِثٌ" جروا التخالفَ في "بني شيبانِ"

خلوا"عدياً"،وهوَ صاحبُ ثأرهمْ كَرَماً،نَالوا الثّأرَ ب "ابنِ أبَانِ"

والمسلمون،بشاطئ" اليرموك" ل مَّا أحرجوا،عطفوا على"باهان "

وحماةُ" هاشمَ"حينَ أخرجَ صدرها جروا البلاءَ على" بني مروانِ"

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ، ص28.

وَ التّغْلَبِيّونَ احْتَمَوْا عَنْ مِثْلِهَا فعدوا على العادينَ بـ " السُّلاَّنِ "

وبغى على"عبسٍ" "حذيفةُ"فاشتفتْ مِنهُ صَوَارِمُهُمْ وَمِنْ ذُبْيَانِ

وستراةُ "بكرٍ "، بعدَ ضيقٍ فرقوا جمعَ الأعاجمِ عنْ" أنوشروانِ "

أبْقَتْ لِبَكْرٍ مَفْخَراً،وَسَمَا لهَا، مِنْ دُونِ قَوْمِهِما، يَزِيدُ وَ"هَانِي"

المَانِعِينَ العَنْقَفِيرَ بِطَعْنِهِمْ ، والثائرينَ بمقتلِ" النعمانِ "![1]

وواضح ما في الأبيات من أحداث تاريخية ووقائع عسكرية؛إذ" يشير أبو فراس في البيت الثاني إلى يوم انتصرت فيه بنو كلاب على بني الحارث، ثم ذكر يوم التخالف الذي كان النصر فيه لبني عباد على بني شيبان، وبعدها أشار إلى موقعة اليرموك التي انتصر فيها المسلمون على الروم، ثم على الأرمن بقيادة باهان أو هامان الذي حاول نجدة الروم، وأيضاً أشار إلى انتزاع بني العباس الهاشميين الخلافة من بني مروان الأمويين، وذكر السلان وهو اسم المكان الذي انتصر فيه العدنانيون على القحطانيين، ثم أشار إلى حذيفة بن بدر الذي كان وراء سباق الفرسين داحس والغبراء، وأشعل حرباً مشؤومة دامت سنين طويلة بين عبس وذبيان،وأخيراً يشير إلى انتصار العرب بقيادة يزيد بن أصرم، وهاني بن قبيصة الشيبانيين، في يوم ذي قار على الفرس؛ وذلك انتقاماً لمقتل النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وماسبق ما يكفي للدلالة على معرفة أبي فراس الحمداني التامة بأنساب العرب وأيامها، فذاكرته تختزن الكثير من الأحداث التاريخية والوقائع الحربية"[2].

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص 411-412-413.

[2] الصورة البيانية في شعر أبي فراس الحمداني، محمد منصور علي حبتور، رسالة دكتوراه، الخرطوم، 2013م،ص171.

الحيوان:

وظف الشاعر في صوره مجموعة من الحيوانات الأليفة والمتوحشة، فلم يختلف أبو فراس في توظيفه عن الأقدمين في تعبيراتهم عن الحيوانات، مثل : الخيل – والظبي – والأسد – والذئب – والنسر وغيرها، لكننا نلاحظ في شعر أبي فراس الحمداني وجود صلة بين تصويره للحيوان وبين غرضه الأساسي ، فيقول واصفا الخيل :

وَمُهرِي لا يمَسّ الأرْضَ، زَهواً، كَـأنّ تُرَابَهَا قُطْبُ النّـبَالِ

كـأنَّ الخيلَ تعرفُ منْ عليها، فَفي بَعضٍ عَلى بَعضٍ تَعَالي

علينا أن نعاود كـلَّ يـومٍ رَخِيصٍ عِندَهُ المُهَجُ الغَوَالي

فإنْ عِشْنا ذَخَرْنَاهَا لأخْرَى ، وَإنْ مُـتْنَا فَمَـوْتَاتُ الرّجَـالِ [1]

فالشـاعر يرسـم في الأبيـات السـابقة صـورة للخيـل، كنفسـه المتعاليـة، كـذلك يبـدو مهـره متعالياً يختـال زهـوا، وفي ذلـك دلالـة علـى العظمـة والتعـالي، فهـو يـدعو المتلقـي إلى تأمـل عظمـة فرسـه، الـذي لا يطيـق أن تلمـس أقدامـه الـتراب، فكـأن أسـفل الـتراب نبـالاً تشـك حوافره، كما أن في تعبيره عن ذلك يوحي بفروسيته .

وفي موضـع أخـر يسـتلهم أبـو فـراس في تصـويره للـذئب والنسـر، مصـوراً إياهمـا وقـد شـفيا غليلهما من جثث الضحايا في ميدان الوغى، قائلا :

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ [2]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ،ص 284.

[2] المصدر السابق، ص212.

وبعد الوقوف على بعض مصادر الصورة في شعر أبي فراس أستطيع أن أقول: إن تأثر الشاعر واهتمامه ببيئته كان واضحاً؛حيث نقل ما عاشه وشاهده، كما نقل المصادر الأخرى كالثقافة والحيوان، وذلك كله له أهمية في تصوير أبي فراس، فقد استطاع الكشف عن قدرته وتوافقه مع محيطه وظروفه .

ب –وسائل تشكيل الصورة الشعرية البارزة عند أبي فراس:

التشبيه :

هو" بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه "[1].

ويقصد بها: (الصورة التي تقوم على الجمع بين شيئين مختلفين في الأصل، إلا أن الشاعر يرى بعين خياله، ومن واقع انفعاله أن ثمة تماثلاً يربط بينهما، على أن الجمع بينهما يتم على أساس من التقارب في الصفات، فربما يقع التشبيه في الهيئة، أو في اللون، أو في الحركة)[2].

وذكره عبد القاهر الجرجاني، قائلاً : " واعلم أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغر المواهب والمنائح ، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب ..."[3]

---

[1] علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، بيروت، دار النهضة العربية،١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م،ص62.

[2] ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ،قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط1، مطبعة المدني بالقاهرة: دار المدني بجدة، ١٤١٢هـ –١٩٩١ م،ص90.

[3] أسرار البلاغة، ص115 .

و للتشبيه قيمه فنية و" شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به ..يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها، مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك"[1] .

كما أن وظيفة التشبيه تكمن في أنه "يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً"[2].

إذاً التشبيه يساهم كثيراً في إبراز المعاني بأنه يزيد من قوتها، ويساعد على تحريكها في النفس، أيا كان غرضها، (و أن التشبيه عندما يقترن بالتجربة الشعرية للفنان وبانفعالاته وحالاته النفسية فهي تتعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده، وتتوزع بحسب المواقف الانفعالية وليس هناك نقطة ثابتة بالمحسوس أو المجرد النفسي بل يملي اتخاذ هذا أو ذاك منطلقا وتجربة الفنان المعبر عنها)[3].

وعندما نتأمل صور الانتصار والانكسار في شعر أبي فراس الحمداني، نجدها مليئة بتشبيهات يصعب حصرها، راسماً بها صوراً مختلفة، كما يقول المبرد: "التشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد "[4].

ومن تصوير أبو فراس نفسه ومكانته بين قومه قوله :

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ ، وفي اللّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط2،القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠3 م، ص188.

[2] نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د.داؤد سلوم،د.عمر الملاحويش، مطبعة الأمة، بغداد، 1997 م،ص 200.

[3] ينظر : جماليات الأسلوب " الصورة الفنية في الأدب العربي " فايز الداية ، ط2، دمشق: دار الفكر، 1996م، ص94.

[4] الكامل في اللغة والأدب، لأبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المكتبة التجارية، مصر، 1355م، ص69.

فإنْ عِشْتُ فالطِّعْنُ الذي يَعْرِفونَهُ وتِلْكَ القَنا والبيضُ والضُّمَّرُ الشُّقْرُ

وإنْ مُتُّ فالإنْسانُ لابُدَّ مَيِّتٌ وإنْ طالَتِ الأيامُ ، وانْفَسَحَ العُمْرُ

ولو سَدَّ غيري ما سَدَدْتُ اكْتَفوا بهِ وما كان يَغْلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ[1]

يصور أبو فراس في الأبيات السابقة خسارة قومه له متخذاً من التشبيه وسيله لتصوير حالهم، ففي البيت الأول يشبه أبو فراس نفسه بالبدر الذي لا تعرف قيمته إلا في الليلة الظلماء، فمثله لا يعرف قومه مكانته إلا عند الخطوب والمصائب وعندما ينزل بهم أمر جلل، ففي هذا التصوير شبه أبو فراس نفسه رجل الخطوب تشبيها ضمنياً، والتشبيه الضمني "هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه تشابه يقتضي التساوي، وأما التشبيه فيقتضي التفاوت "[2].

وفي القصيدة نفسها يقول :

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، لَنَا الصّدرُ،دُونَ العالَمينَ، أو القَبرُ

تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا، ومنْ خطبَ الحسناءَ لَمْ يغلها المهرُ

أعزُّ بني الدنيا، وأعلى ذوي العلا، وَأكرَمُ مَن فَوقَ التراَبِ وَلا فَخْر [3]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان، ص213-214.

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي،تحقيق وشرح:د.محمد التونجي، ط3،لبنان-بيروت:مؤسسة المعارف، 2006م، ص300-301.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص214.

في البيت الثاني من الأبيات السابقة وظف الشاعر التشبيه من أجل الافتخار والاعتزاز بقومه، فيشبه قومه وهم يبذلون أرواحهم الغالية طالبين المعالي، بخطبة المرأة الحسناء ذات المهر الغالي؛ إذ يضحّي بكل شي من أجل نوالها، هكذا هم قومه.

وأيضا يشبه جيش قومه بالأسود والرماح والسيوف، قائلاً:

ولما ثارَ"سيفُ الدينِ" ثرنا كَمَا هَيّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أسِنّــتُهُ إذا لاقَى طِعَاناً ، صوارمهُ، إذا لاقى ضرابا [1]

فأراد الشاعر أن يصور بكل فخر بأن جيش سيف الدولة ليس فيه جبان، بل إنه اصطفى الشجعان الذين يهبون أنفسهم في المعارك فهم كالأسود في بطشهم، وكالرماح في قوتهم وصلابتهم، وهم سيوف في مضيهم وعزمهم .

و" إن هذه التشبيهات مستمدة مما قاله الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي، وهي مما حفظه أبو فراس، ووعته ذاكرته، ولا يبدو أثر الخيال فيها" [2].

ومن الصور الجميلة التي أحسن أبو فراس اقتناصها وهو يعاتب سيف الدولة :

أنْتَ سَمَاءٌ، وَنَحنُ أنْجُمُهَا، أنْتَ بِلادٌ، وَنَحنُ أجْبُلُهَا!

أنْتَ سَحَابٌ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ، أنتَ يمينٌ ، ونحنُ أنملها ![3]

في الأبيات السابقة نلاحظ تشبيهات متعددة، ففي كل شطر تشبيه، لكن تتآزر الصور التشبيهية لتشكل صورة متكاملة، فالشاعر في أبياته يقول لابن عمه: أنت بنا ونحن بك، وكلنا

[1] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان، ص13.

[2] أبو فراس الحمداني حياته وشعره،ص378.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص332.

يكمل الآخر، ولا غنى لأحد منا عن الآخر، كما أن السماء لا تزدان إلا بنجومها، والبلاد لا تستقر إلا بجبالها، والسحاب لا يطلب إلا لوابله، واليد لا تأخذ إلا بأناملها،فلا غنى لسيف الدولة عن جنده ومنهم أبو فراس،وما أجمل تلك المعاني والتشبيهات كلها خلف هذه الصورة الرائعة !

وفي موضع أخر يصور الشاعر تجربته الأليمة في الأسر:

وما غضَّ منيَ هذا الإسارُ و لكنْ خلصتُ خلوصَ الذهبْ[1]

يذكر لنا الشاعر أن أسره زاده شرفاً،فساوى الشاعر بين ألم الأسر وحرقته، وبين النار التي يذاب بها الذهب؛ ليصنع ويشكل، فكما أن النار تزيد الذهب قيمة ولمعاناً، فإن الأسر يزيده تجلداً وشجاعة وكل ذلك يلمح من خلال المعنى الذي عبر عنه الشاعر إذ شبه نفسه بالذهب، الذي تخلصه النار من شوائبه، وكذلك هو؛ فأنَّ الأسر سيزيده صلابة وقوة وهمة وشجاعة.

كما أن الماضي قد يكون له دور أساس في التجربة الشعورية :" فما من قصيدة أبدعها الشاعر، إلا ولها ماضٍ في نفسه حتى القصائد التي اختلط أمرها، فإذا أردنا أن نحدد هذا الماضي قلنا: إنه تجربة بدا فيها الأنا ككل " [2].

ومن الصور التشبيهية ماقاله في الروم :

تأملني" الدمستقُ " إذ رآني فَأبْصَرَ صِبْغَةَ اللّيْثِ الهُمَامِ

أتُنكِرُني كَأنّكَ لَسْتَ تَدْري بِأني ذَلِكَ البَطَلُ، المُحَامي

وأني إذْ نَزَلْتُ عَلى "دُلُوكٍ "، تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتّصِلِ النّظَامِ [3]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان، ص26.

(2) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د.مصطفى سويف، ط4، دار بالمعارف، ص 270.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ،ص372.

يمزج الشاعر في أبياته السابقة بين الفخر والهجاء مما يولد مفارقة بينه وبين الروم،فتارة يفخر بنفسه عندما يشبهها بالليث الهمام والبطل المحامي، ثم يهجو الروم ويستهزئ بهم، وهو بهذا التشبيه يؤكد التقليل من شأن الروم ساخراً من قدراتهم الضعيفة أمام قدرات قومه العظيمة.

كما عبر الشاعر عن حزنه وألمه وهو في أسره بعيداً عن ميادين القتال قائلاً :

لَقِيتُ نُجُومَ الأفقِ وَهيَ صَوارِمٌ،وَخُضْتُ سَوَادَ اللّيْلِ، وَهْوَ خيولُ[1]

يصور الشاعر مفصحاً عن حزنه ومرارة أسره الذي أقعده عن خوض المعارك، فحبه وتعلقه الشديد بالقتال جعله يرى نجوم الأفق سيوفاً صارمة، وظلمة الليل خيولاً، كل ذلك جاء تعبيراً عما يحس به الشاعر من ألم وحزن وقسوة في الأسر.

ويصور الشاعر في موضع آخر نفسه وقومه باستخدام أداة التشبيه (الكاف)في قوله :

و كنا كالسهامِ إذا أصابتْ مراميها فراميهَا أصابَا[2]

فيصور أبو فراس دقة سيف الدولة في اختيار جنوده ، فهو يختارهم من الرجال الشجعان .

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذا التشبيه قائلا:" ألست تراه (التشبيه) عقلياً عريقاً في نسبه، معترفاً بقوة سببه، وهو على ذلك من فرائد أبي فراس التي هو أبو عذرها، والسابق إلى إثارة سرها"[3].

---

[1]ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص317

[2] المصدر السابق ،ص13.

[3] أسرار البلاغة ، ص 273.

ومماسبق نستطيع القول بأن الشاعر استطاع أن يرسم لنا لوحات تنم عن قدرته في التعبير عن تجربته التي تمثل" لمحات تصويرية اتخذت التشبيه سبيلاً إلى بلوغ إحساس النفس بما حولها، وبما ترنوا إليه ويثور في أعماقها"[1].

التشخيص :

يوضح العقاد التشخيص بقوله: "تلك الملكة الخالقة التي تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً، أو من دقة الشعور حينا آخر، فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرضين والسموات من الأجسام و المعاني، فإذا هي حية كلها؛ لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة"، ثم يقول:"وليست قدرة التشخيص حيلة لفظية تلجئنا إليها لوازم التعبير، ويوحيها إلينا تداعي الفكر وتسلسل الخواطر"[2].

كما أن الصورة التشخيصية يقصد بها: "التي تقوم على أساس خلع الصفات الإنسانية على الأشياء المادية والمفاهيم التجريدية " [3].

ويعد التشخيص من وسائل تشكيل الصورة وأبرز سماتها النابعة من وجدان الشاعر، كما أنها "تظهر تحولاً من طرف حسي ينتمي إلى عالم الأشياء التي لا تتصف بالحياة إلى طرف يتمثل في العالم الحسي الحي"[4]، (أي: تضع المعاني المجردة في صورة تشخيصية لكائن حي، وتبرز تلك الصورة في شعر أبي فراس مما يجعل الصورة أكثر دلالة وحركة،سواء أكان باستخدامه

---

[1] جماليات الأسلوب " الصورة الفنية في الأدب العربي " فايز الداية،ص 80.

[2] الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، جابر عصفور، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر ،١٩٧٤ م، ص 428.

[3] الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، زكية خليفة مسعود، بنغازي: منشورات جامعة قازابوس،1999م ، ص256.

[4] التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، إربد، الأردن، المجلد: 15 ، العدد:1، 1997 م ، ص87.

لعضو من أعضاء الإنسان،مثل اليديْن بذكر الأظافر،ولكن من الملاحظ أن الصور التي تستخدم التشخيص معظمها تدل على القسوة)[1]، وكل ذلك يتجلى في مثل قوله :

وَأَبطَأَ عَنّي وَالمَنايا سَريعَةٌ وَلِلمَوتِ ظُفرٌ قَد أَطَلَّ وَنابُ [2]

كما استخدم أبو فراس التشخيص لتشخيص زمانه في ذكره لفعل من الأفعال الإنسانية " تلد "، فقد لجأ الشاعر إلى تحويل أو تشخيص أشياء مجردة إلى صورة حيّة مثل قوله :

مَتى تَلِدُ الأيّامُ مِثْلي لَكُمْ فَتىً, شَدِيداً عَلى البأساءِ، غَيرَ مُلَهَّدِ[3]

يشبه الشاعر –مفتخرا بنفسه– الأيام بالمرأة التي تلد، فتصويره يبرز هذا المعنى في صورة كائن حي، وهي المرأة التي تلد، وفي تعبيره يؤكد على أن النساء لن ينجبن رجلاً مثله .

وتكثر الصورة التشخيصية في شعر أبي فراس في مواضع أخرى،ومنها ماجاء في قوله :

لِيَبْكِكِ كُلُّ يَوْمٍ صُمتِ فيهِ مُصَابِرَةً وَقَد حَمِيَ الهَجِير

لِيَبْكِكِ كُلّ لَيلٍ قُمْتِ فيهِ إلى أنْ يبتدي الفجرُ المنيرُ![4]

يشخص أبو فراس الزمان (اليوم)،(الليل) فيجعل لهما دموعا تبكي وتحس وتلتاع على فراق أمه، ويحقق ذلك باستخدام الفعل "ليبكك "مرتين .

والأمر يتنوع عند شاعرنا باختلاف صوره ومواقفه، فيوجه الكلام لسيف الدولة قائلاً :

---

[1] ينظر : شعر الروميات لأبي فراس الحمداني (دراسة أسلوبية)،عايدة سعدي، رسالة ماجستير في الأدب القديم ونقده،جامعة منتوري قسنطينه، الجزائر: 1430هـ –2009م، ص322–323.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص24.

[3] المصدر السابق،ص 79.

[4] السابق، ص217.

هَل تَعطِفانِ عَلى العَليلِ؟ لا بِالأَسيرِ وَلا القَتيلِ !
باتَت تَـقَلـبُهُ الأَكُ فُّ سَحابَةَ اللَيلِ الطَويلِ
يَرعـى النُجومَ السائِرا تِ مِنَ الطُلوعِ إِلى الأُفولِ
فَقَدَ الضُيوفُ مَـكانَهُ وَ بَـكاهُ أَبناءُ السَبيـلِ
وَاستَـوحَشَت لِفِراقِهِ يَومَ الوَغى سِربُ الخُيولِ
وَتَـعَطَّلَتْ سُمرُ الرِما حِ،وَأُغمِدَت بيضُ النُصُولِ[1]

في الأبيات السابقة يتحدث الشاعر عن الأبيات التي وصل إليها طالباً الفداء من ابن عمه سيف الدولة في عدة عبارات فيها تشخيص،مثل (باتَت تَقَلُّبُهُ الأَكُفُ سَحابَةَ اللَيلِ الطَويلِ) فيلاحظ إضفاؤه للسحاب كفين جاعلها تقلبه بهما،كما أنه يرعى النجوم أي: يراقبها وينظر إليها من طلوعها إلى أفولها، والبيت كناية عن أنه لم يذق النوم، وفي قوله (وَاِستَوحَشَت لِفِراقِهِ يَومَ الوَغى سِربُ الخُيولِ) يشخص الخيل مصوره بالإنسان الذي يشتاق لعزيز ويشعر بالوحشة بدونه.

وفي موضع آخر جاء معرضاً "بسيف الدولة " :

وَما هُوَ إِلّا أَن جَرَت بِفِراقِنا يَدُ الدَهرِ حَتّى قيلَ:مَن هُوَ حارِثُ؟[2]

صور أبو فراس الدهر بصورة الإنسان الذي يبذل جهداً في التفريق بينه وبين سيف الدولة ، كما أن الدهر فرق بينهما، مما جعل ابن عمه ينسى كل الأيام الماضية التي كان فيها الشاعر باذلاً نفسه فداء لابن عمه، حتى أنه بعدما كان يقال: أين أبو فراس؟، أصبح يقال:من هو حارث ؟ .

[1] ديوان أبو فراس الحمداني ، ت:سامي الدهان ،ص321.

[2] المصدر السابق،ص 56.

وينوع أبو فراس في التشخيص جاعلاً الحمامة من الذين يشاركونه في أسره، فصورها الشاعر أحسن تصوير قائلاً :

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ: أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟
معاذَ الهوى!ماذقتِ طارقةَ النوى، وَلا خَطَرَتْ مِنكِ الهُمُومُ ببالِ!
أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ على غصنِ نائيٍّ المسافةِ عالِ؟
أيا جارتا،ما أنصفَ الدهرُ بيننا! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالِي!
تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لَدَيّ ضَعِيفَةً، تَرَدّدُ في جِسْمٍ يُعَذّبُ بَالِ !
أيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكي طَلِيقَةٌ، ويسكتُ محزونٌ،ويندبُ سالِ؟[1]

نلاحظ إبداع الشاعر في الصورة التشخيصية الشعرية السابقة، مجسداً لنا الحمامة في صورة إنسان حقيقي: (ينوح –ويبكي –يتحدث معه –يقاسمه الهموم –يشعر بأمره)، فجميع هذه الصور اشترك فيها أبو فراس مع الحمامة، فأنتجت صورة شعرية تشخيصية لحاله الذي يجعل القارئ يستشعر بمدى معاناته التي عاشها .

ويستمر الشاعر في التشخيص فيقول في السيف والرمح :

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ [2]

يحول الشاعر في البيت السابق (السيف والرمح) من خلال الصورة التشخيصية إلى كائن حي، فكأننا نرى السيف والرمح وهي تروي عطشها من دماء الأعداء،وفي التعبير دلالة واضحة على غزارة دماء الأعداء.

[1] ديوان أبو فراس الحمداني ،ت: سامي الدهان ،ص325.

[2] المصدر السابق ، ص212.

وهكذا نجد أن التشخيص كان واضحاً في صور أبي فراس، مما ساهم في تقريب الصور وتوضيحها ونقل التجربة، وكانت الأمثلة السابقة على سبيل المثال لا الحصر.

فالصورة الشعرية من الصعب وضع حدود لها،" لأن الصورة الشعرية تركيبة غريبة معقدةوتحديد طبيعتها –نتيجة لذلك – محفوف بكثير من الصعوبات" [1]

ونتوصل من خلال الصورة الشعرية والتجربة الشعورية للشاعر سواء أكانت خيالاً أم كانت واقعاً إلى أن الصورة في مختلف صور الانتصار والانكسار هي التي توحي لنا بإحساس أبي فراس فالصورة هي التي" تتولى نقل التجربة أو المشهد، وتقوم بترجمة المعاني والأفكار فلا تعتمد فقط على الإيحاء وإثارة الخيال، بل إنها تنتظم كعمل أدبي رائع ينشأ عنه تيار متدفق من الصور الذهنية، ومن الفكر ومن العواطف، كما لا يلبث أن يغمره إحساس يملك عليه مشاعره، فيحس بالتجاوب مع هذه القوة الباهرة "[2].

والجدير بالذكر أن مظاهر القوة والجمال لم تكن في تشبيه أو تشخيص..فحسب، على الرغم من أنها أضفت جمالاً على الأبيات، إلا أنها اندمجت مع دقة اختيار المعجم الشعري وحسن الصياغة، فأثمرت تلك الأبيات الجميلة، وعندما تتخذ الصورة صفة الشمولية تحقق القصد والهدف لا من الجانب النفسي فحسب بل من الجانب الفني والبلاغي والإيقاعي فالتشكيل الشعري:" هو مجموعة من التوقيعات النفسية التي تأتلف في صورة كلية تمثلها القصيدة في مجموعها ... هذه الصورة تصادفنا في كل مشهد، كأنها تتخذ في كلّ مرة قناعا جديدا، حتى إذا ما

[1] الشعر ٱلعربي ٱلمعاصر "قضاياه وَظواهرَه ٱلفنية وَٱلمعنوية"، عز الدين إسماعيل،القاهرة: دار الكتاب العربي، 1917م ، ص 14.

[2] الصورة الأدبية في القران، د.صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995م، ص 10.

انتهت القصيدة أدركنا أن هذه المشاهد لم تكن أقنعة، بل مظاهر مختلفة لحقيقة واحدة" [1].

وتكون" هذه الحقيقة الواحدة هي الصورة الشعرية التي تكاثف الزمان والمكان في انتخاب مفرداتها وفي بنية تشكيلها فتأتي مغايرة للواقع الطبيعي "[2].

وفي ختام هذا المبحث نقول:إن الصورة الشعرية في شعر أبي فراس كانت عنصراً رئيساً من عناصر الإبداع فجاءت عفوية من غير قصد أو تكلف، وقد أظهر أبو فراس من خلالها حسن تصويره وجمال شعره، فقد كانت الأبيات التي قالها صورة بسيطة، ولذلك كان شعره ذا تأثير في نفس المتلقي والإحساس بمشاعره .

[1] الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية المعاصرة ،عز الدين إسماعيل، ص166.

[2] الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، د.ساسين عساف، ص 35.

المبحث الثالث: الموسيقى.

تعدُّ الموسيقى من أهم عناصر الإبداع في الشعر،وتميز الشعر عن باقي الفنون،فهي: "فارق جوهري من الفوارق التي تميز الشعر عن النثر"[1]، كما أنّ لها دوراً في تشكيل جو النص الشعري، لما تشيعه من ألحان ونغمات، فالموسيقى من" أبرز الظواهر التي تميز الشعر عن سائر الفنون الإبداعية، فتأخذ دورها الحساس كأهم بنية بنائيه من الأدوات "[2]،"والموسيقى في الشعر ليست حلية خارجية تضاف إليه،بل إنما هي وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء، وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس،مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه، ولهذا فهي من أقوى وسائل الإيحاء سلطانا على النفس وأعمقها تأثيراً فيها"[3]، كما أن للموسيقى غاية في الشعر، فهي" تزيد من انتباهنا، وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثلاً عملياً واقعياً، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، وكل هذا مما يثير من الرغبة في قراءته وإنشاده، وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً " [4].

وموسيقى الشعر نوعان:(موسيقى خارجية)،وتشمل الوزن والقافية، (وموسيقى داخلية) وهي تتنوع بحسب الظرف والغرض؛ لتعكس ما يدور داخل نفس الشاعر مما ينتج عنها تنوع الموضوعات الشعرية، و انعكاسها على مشاعر المتلقي.

---

[1] عن بَناء اَلقصيدة اَلعربية اَلحديثة، علي عشري زايد،ص154

[2] دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني،نهيل فتحي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1999م ، ص164.

[3]عن بَناء اَلقصيدة اَلعربية اَلحديثة، علي عشري،ص154.

[4] موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م، ص14.

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن الموسيقى وأهميتها في الشعر العربي عامة وشعر أبي فراس خاصة،سأقوم بإلقاء الضوء في التشكيل الموسيقي عند الشاعر بقسميها(الخارجي)و(الداخلي) ومدى توظيفه لها في قصائده وذلك من خلال إبراز عناصر الموسيقى في بعض القصائد .

أ –الموسيقى الخارجية (الأوزان – القوافي)

أولاً : الأوزان

يقصد بالوزن:" مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت "[1]،فهو" أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية"[2]، ويعد " الإيقاع الوزني بنية أساسية في الشعر، وهو كلام يستغرق التلفظ به مددا من الزمن متساوية الكمية"[3]، ويذهب بعض الباحثين والنقاد إلى أن للأوزان الشعرية علاقة بموضوع القصيدة؛ بل إنهم خصصوا لكل وزن أو بحر معاني تكثر فيه ،يقول حازم القرطاجني:"ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا، وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من

---

[1] النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص436.

[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني،ت: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط5،دار الجيل،1401هـ -1981م، ص134.

[3] أبو فراس الحمداني في رومياته،د.خالد الحليبي، ط1، إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1428هـ -2007م، ص185.

الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد" [1]، ولكن تلك الفكرة لم تتضح على قصائد أبي فراس، فنستطيع القول بأنه ليس هناك بحور خاصة بموضوعات معينه، ولكن هناك موضوعات قد تتناسب مع بحور، أي: أنه " ليس ثمة ارتباط بين الموضوع الشعري ووزنه وإنما الرباط الحقيقي بين الموضوع والإيقاع الذي يمثل حركة النفس وحالاتها ومناسبة الإيقاع بقدر المشاعر التي تعتلج في شعور الشاعر لدى تصديه لبناء قصيدته فالموضوع يختار إيقاعه ودرجة تدفق نغماته؛ ليستكمل بذلك تشكيله الذي تنهض به اللغة وحدها في التأثير على متلقيه، فتأثير الإيقاع الموسيقي للشعر إذن لا يُرد في النهاية إلى إدراكنا إلى نغمات خارجية تؤثر في أجسادنا تأثيراً مادياً، وإنما يرد إلى نفوسنا هي التي يحدث فيها هذا التنغيم، فكل نغمة في تجربة فنية ما تؤثر في إدراكنا، وترتفع معها نغمات عاطفية في قلوبنا، سالكة نفس الطريق الذي صدرت خلاله عن نفس الشاعر"[2]، فنلاحظ في أشعار أبي فراس الحمداني في شعر الفخر مثلا أنه نظم في عدة بحور، لكن أكثر البحور التي نظم عليها تقريباً هي: **الطويل** وهو أكثرها، والوافر، والكامل ومجزوءه، وهذا دليل على عدم الصلة بين الأغراض والأوزان .

وعندما نستقرئ الأوزان التي جاءت في التشكيل الموسيقي في صور الانتصار والانكسار، نستطيع القول إن نظم أبي فراس على بحور الشعر وأوزانه جاء منسجماً مع ما قرره القدماء من شيوع استعمال العرب لأوزان معينة، ومن قلة استعمالهم لأوزان آخرى، علما أننا لانستطيع تحديد قصيدة كاملة بأنها ضمن صور الانتصار أو الانكسار؛ وذلك لاحتواء القصيدة الواحدة على أكثر من صورة، ولكن اعتماداً على الإحصائية التي قمت بإعدادها اعتماداً على ما وضعه الدكتور سامي الدهان في فهارس تحقيقه لديوان أبي فراس نستطيع أن نضع تصوراً لأكثر الأبيات وروداً واستعمالاً للأوزان في كلتا الصورتين، وهي على حسب كثرة استخدامها كالآتي:

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني،تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، تونس:دار الكتب الشرقية،1966م ،ص266.

[2] أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي ، ص 483-484.

كان في بحر الطويل، فالكامل، فالوافر، ونظم في البسيط، والخفيف وفى البحر السريع، وعلى الرغم من قله النظم فيه لدي من سبقوه فقد نظم فيه ما يزيد عن مائة بيت، ولقد نظم أبو فراس على المجتث، ولكن بنسبة قليلة جداً، فقد نظم عليه أربعة عشر بيتاً، أما الرمل فقد نظم في مجزوئه، بينما لم ينظم في المضارع و المقتضب أبداً.

بحر الطويل :

وهو من أكثر البحور التي نظم أبو فراس عليها صور الانتصار والانكسار، ويقول الدكتور إبراهيم أنيس متحدثاً عن شيوع بحر الطويل:" ليس من بحور الشعر ما يضارع هذا البحر في نسبة شيوعه "(1)، وهذا دليل على أن البحر الطويل"يتسع لكثير من المعاني" [2]،وتفعيلات هذا البحر (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)في الشطرتين، وتعددت موضوعاتها بين صور انتصار وانكسار، لكن الوزن واحد، ومن أبرز القصائد التي جاءت على بحر الطويل مطلعها :

– لَعَلَّ خَيالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسعَدَ مَهجورٌ وَيُسعَدَ هاجِرُ[3]

– أمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنّ ثَوَابُ، وَلا لِمُسِيء عِنْـدَكُنّ مَتَابُ ؟ [4]

– مُصَابي جَلِيلٌ،وَالعَزَاءُ جَمِيلُ، ,وَظَنّي بِـأنّ الله سَوْفَ يُدِيلَ[5]

–أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ: أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟[6]

---

[1] موسيقى الشعر ، ص59.

[2] أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 1944، ص 32.

[3] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ، ص103.

[4]المصدر السابق ، ص22.

[5] السابق، ص313.

[6] السابق، ص325.

ونلاحظ أن أبا فراس استخدم البحر الطويل للتعبير عن المعاني التي لها أكبر الأثر في نفسه كما يبقى بحر الطويل عند أبي فراس من البحور التي تناسب الكثير من معانيه وأحاسيسه من فخر وعتاب وحزن، فهو بحر نظم عليه الشاعر تجربته بحلوها ومرها، فلم يخالف أبا فراس القدماء في نظمه على هذا البحر، فقد " نظم عليه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان الشعراء يؤثرونه على غيره،ويحتذونه ميزاناً لأشعارهم"(1)، وقد نظم أبو فراس في الطويل ما يزيد على ألف بيت،وهو ما يقرب من ثلث شعره، فقد أقام عليه (إحدى وسبعين) قصيدة كما يمكن القول بأن البحر الطويل أكسب الموسيقى في قصائد أبي فراس الحمداني قوة " لأنه أتم البحور استعمالاً، ويعتبر ذلك أنه لا يدخله الجزء، وهو حذف العروض والضرب عن البحر ، ولا يدخله الشطر وهو حذف نصف تفاعيل البيت، ولا يدخله النهك، وهو حذف الثلثين منه وإبقاء الثلث، وقال بعضهم: سمي طويلا لأنه أكثر البحور حروفا، فهو إذا صرع قد يكون ثمانية وأربعين حرفا، ولا مشارك له في ذلك "[2].

بحر الكامل :

" له مقياس واحد هو (متفاعلن)، ولا يرد هذا المقياس إلا في هذا البحر" [3]، كما أنه من أكثر البحور التي شاع استعمالها في الأشعار العربية، وأكثر البحور استيعاباً لتجربة أبي فراس في صور الانتصار والانكسار ، وأنه يصلح لأكثر الموضوعات "، وهو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات ، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد الجد فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة"[4]، ويتميز بحر

(1) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص189.

(2) في علمي العروض والقافية، أمين علي السيد، ط5، دار المعارف، 1999م، ص94.

(3) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس ، ص61-62.

(4) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، ط 4،مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩١ م، ص ٣٠٢.

الكامل بـ " طواعية للعديد من الأغراض الواضحة والصريحة، وهو مترع بالموسيقى، ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتدمة داخل الإنسان، كما أنه يجمع بين الفخامة والرقة "[1].

كما أن هذا البحر من البحور الصافية موحد التفعيلة، وقد استخدم تاماً ومجزوءاً واستعمله أبو فراس فأقام عليه (ثلاثة وثمانين) قصيدة، وبحر الكامل كالطويل في مرونته،وما سبق يتفق مع ما ورد عند الدكتور إبراهيم أنيس فقد عده (ثاني أكثر البحور استخداما)(2)، ويحتل المرتبة الأولى في المقطوعات الشعرية لأبي فراس، وهذا دليل على مدى سعة هذا البحر لكي يعبر عن خلجات نفسه .

ومن أبرز مطالع مجزوء الكامل :

- إنْ زُرْتُ خَرْشَنَةً أسِيرَا فَلَكَمْ أحَطْتُ بها مُغِيرا [3]

- هَلْ تَعْطِفَانِ عَلى العَلِيلِ؟ لا بالأسِيرِ، وَلا القَتِيلِ! [4]

- لَوْلا العَجُوزُ بِمَنْبِجٍ مَا خِفْتُ أسْبَابَ المَنِيّهْ[5]

الوافر :

سمي بذلك"لتوافر حركاته،وقيل:سمي وافراً لوفور أجزائه"[6]،وهذا البحر"تستريح له الأذان،وتطمئن له النفوس عند السماع أو الإنشاد"[1]،" وأحسن ما يصلح هذا البحر في

---

[1] دراسات في النص الشعري في العصر العباسي، د. عبده بدوي ،ط2، الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ،ص56.

[2] ينظر : موسيقى الشعر ، ص63.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص208.

[4] المصدر السابق ، ص321.

[5] السابق ، ص .433

[6]البناء العروضي ،ص34.

الاستعطاف والبكائيات، وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر، والتفخيم في معرض المدح "[2] ومن المواضع التي جاء فيها هذا البحر(مفاعلتن مفاعلتن فعولن (مفاعل) مفاعلتن مفاعلتن فعولن (مفاعل)، وهذا البحر موحد التفعيلة، وقد ورد في شعر العرب تاماً ومجزوءاً واستخدمه أبو فراس في (سبعة وخمسين) قصيدة والوافر من البحور التي كانت لها مرونة عند أبي فراس ومن أبرز القصائد التي جاءت على بحر الوافر مطلعها –وهي على سبيل المثال لا الحصر– :

– زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ و أنتَ عليَّ والأيامُ إلبُ[3]

وتقع هذه القصيدة في (ثمانية عشر) بيتًا جاءت في الفخر والعتاب.

– أيا أمَّ الأسيرِ ، سقاكِ غيثٌ ، بكُرْهٍ مِنْكِ مَا لَقِيَ الأسِيرُ![4]

فلا يقل هذا البحر أهمية عن البحر الطويل والكامل، فقد استطاع أبو فراس أن يعبر عن أحاسيسه وانفعالاته، وقد نظم الشاعر قصيدته ووفر له بحر الوافر حيزاً يتسع لرثاء أمه والحزن عليها فور تلقيه الخبر، وتحت تأثير الصدمة.

هذا، وقد نظم أبو فراس معظم شعره في صور الانتصار والانكسار على عدة أوزان جاء في مقدمتها بحر الطويل فالكامل فالوافر.

ثم يلي هذه البحور الثلاثة: البسيط والمتقارب والرجز والخفيف والمنسرح والسريع والرمل والهزج والمجتث،كما نظم أبو فراس معظم شعره في الأوزان الكاملة للبحور، ولم ينظم على

---

[1] موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص74.

[2] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د. عبد الله الطيب ،ص407.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص28.

[4] المصدر السابق ، ص216

مجزوئها إلا قليلاً، حيث نظم على مجزوء الكامل، ومجزوء الوافر، ومجزوء الرمل، والطويل كما ذكرت سابقاً أكثر البحور استيعاباً لتجربة أبي فراس الحمداني كما أن هذه البحور أكثر البحور ظهوراً في صور الانتصار والانكسار الذي عبر عنها الشاعر أبو فراس الحمداني مجسداً تجربته، أما بقية البحور فقد نظم عليها نظماً قليلاً بنسب ضعيفة.

وهكذا تكون القصائد التي جاءت على البحور القصيرة قليلة الأبيات مقارنة بالقصائد التي جاءت على الطويل؛ مما يؤكد أن الشاعر قد نجح في استخدام فاعل للبحور الشعرية، مستخدمًا إمكاناتها لتحقيق أغراضه.

وفيما يخص بقية الأبحر كالمتقارب والرجز والخفيف ...الخ، فكل واحد منها له مميزات وتفعيلات: (فالمتقارب لتقارب أجزائه؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضا، والرجز لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام، والخفيف لأنه أخف السباعيات، والسريع لأنه يسرع في اللسان والمنسرح لا نسراحه وسهولته، والهزج لأنه يضطرب)[1].

ونستخلص مما سبق أهمية الوزن في الشعر، وأنه من ألزم خصائص الشعر، ومن أهم عناصر الإبداع الفني، كما حاولت استجلاء الوزن في شعر أبي فراس الحمداني من حيث أني لم أتتبع الأوزان الشعرية ونسبة تواترها في صور الانتصار والانكسار لصعوبة الجزم على القصيدة كاملة؛ لأن القصيدة الواحدة قد تتضمن أكثر من صورة للانتصار والانكسار، ولكن من ذلك عمدت إلى أن أبين أكثر البحور وروداً في ديوانه، وجميل أن نخرج من أكثر البحور بنتائج ميزت صور الانتصار والانكسار،وهي:

- استخدام الوزن الشعري الواحد في أكثر من صوره .

- البحر الطويل أكثر البحور استخداماً على مختلف الموضوعات في شعره؛ إذ قارب اتجاه

[1] ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ص 136.

الشاعر إليه نسبة الثلث –كما ذكرنا من قبل–،وخاصة في تعبيره عن شكواه وعتابه.

–كما أن كل بحر من البحور الشعرية نال حظاً ولو قليلاً في توظيف أبي فراس له ، معبراً من خلالها عن صور الانتصار والانكسار.

ويمكنني القول بأن أكثر قصائده في صور الانكسار جاءت على بحور طويلة، واتفق مع ما أكده الدكتور إبراهيم أنيس:" نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم، وسرعة النفس، وازدياد النبضات القلبية " [1].

كما يلاحظ تركيز أبي فراس على البحور الكثيرة المقاطع، وهذا دليل على" غلبة التعبير الوجداني على عواطفه الجليلة والحزينة مما يقتضي تمهلاً وأناة، وطول نفس تتفق مع ما تتصف به البحور الطوال التي تتسع قدرتها الموسيقية لمثل هذا التعبير ..."[2].

ثانياً : القوافي .

القافية مكملة للوزن في تحديد الموسيقى الخارجية للشعر، كما أنها " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية،...وهي – على الصحيح – من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن"[3]، وهي " عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع الشاعر ترددها، ويستمتع

[1] موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص175–176.

[2] أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي ، النعمان القاضي ، ص 497–480.

[3] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص151

بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن"[1]، وهي " المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة ، أي: المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت"[2]، والقافية :"حرف أو بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين "[3].

وللقافية أهمية، فهي: " ذات معان متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية، بل تكون هي المجلوبة من أجله، ولا ينبغي أن يؤتى بها لتنمية البيت، بل يكون معنى البيت مبنياً عليها، ولا يمكن الاستغناء عنها فيه وتكون كذلك نهاية طبيعيه له بحيث لا يسد غيرها مسدها "[4]، وللقافية دور في موسيقى الشعر؛ وذلك لأنها تعدُّ"لوناً من الموسيقى الظاهرة في القصيدة، فهي القرار الذي ينتهي إليه كل بيت، فتحدث مع الوزن وحده موسيقيه في القصيدة"[5]، كما أنَّ لها أثراً واضحاً كما قال القرطاجني :" إنّ القافية لها علاقة وثيقة بمعنى الإيقاع و أثره النفسي، فقد بيّن أنّ وقوع القافية في آخر البيت و تكرار رويّها يتيح للقارئ فسحة من الصمت تتجاوب فيه ذاكرته، فتكون أعلق بالحافظة وأشدّ من سواها أي: من كلمات البيت، فأصداؤها تتردد في الذهن، فإذا دلّت على أمر كريه أورثت النّفس ضيقا و تبرما، وإذا دلّت على أمر طيّب أورثتها أمراً طيّباً "[6]، و هناك حروفٌ "تصلح للروي، فتكون

---

[1] موسيقى الشعر، ص244.

[2] علم العروض والقافية، د.عبد العزيز عتيق، بيروت:دار النهضة العربية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص134.

[3] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ص 151.

[4] النقد الأدبي الحديث، هلال، ص442-443.

[5] أبو فراس الحمداني حياته وشعره ، عبد الجليل حسن عبد المهدي، ص393.

[6] منهاج البلغاءوسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة،تونس:دار الكتب الشرقية، 1966م،ص76.

جميلة الجرس، لذيذة النغم، سهلة المتناول، وبخاصة إذا كانت القافية مطلقة، ومن ذلك الهمزة والباء، والدال، والراء، والعين، واللام "[1].

ونلاحظ اهتمام أبي فراس بالقافية؛ إذْ جاءت في أشعاره متنوعة حسب حالته الشعورية ،ولقد استعمل أبو فراس في شعره في صور الانتصار والانكسار أغلب الحروف الهجائية فاستعمل واحداً وعشرين صوتاً من الأصوات الهجائية بنسب متفاوتة هي : أ-ب-ت -ث - ج-ح -د-ر-ز -س -ش -ض -ع -ف-ق-ك -ل -م-ن -هـ -ي ،(21) روياً.

وجاء حرف (الراء) أكثر حروف الروي ظهوراً في شعر أبي فراس في صور الانتصار والانكسار، وإن كان في أغلب قصائد الفخر، وحرف الراء "صوت مجهور لثوي متكرر، من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، متوسط بين الشدة والرخاوة، مكرر؛ لأن طرف اللسان حين ينطق به يحدث طرقا لينا مرتين أو ثلاثا "[2] ، ويليه حرف (اللام) ثم حرف الباء وكان على الأغلب في قصائد العتاب؛ وذلك لما يتميز به حرف الباء بموسيقى شديدة تناسبت مع صور العتاب.

وإذا تتبعنا أنماط القافية في شعر أبي فراس نلاحظ استخدامه لنوعين من القافية:القافية المطلقة، والقافية المقيدة :

أ- القافية المطلقة :

هي القافية "متحركة الروي "[3]، أي: يكون الروي مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً، و لحرف الروي أهمية، " فلا يكون الشعر مقفى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المتكرر في

---

[1] أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ص 325.

[2] دراسات في النص الشعري في العصر العباسي،د. عبده بدوي، ط2، الرياض:دار الرفاعي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م،ص117.

[3] علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، ص165.

آخر الأبيات"[1]، فكانت القافية صاحبة الروي المضموم أكثر ما جاء في ديوان أبي فراس، فشملت (ثماني وعشرين) قصيدة و(تسعا وخمسين)مقطوعة،مما يدل على أن الشاعر استطاع أن يعبر عن تجربته في شتى صور الانتصار والانكسار، ونضرب أمثلة على ذلك، وهي على سبيل المثال لا الحصر :

لَعَلَّ خَيالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسعَدَ مَهجورٌ وَيُسعَدَ هاجِرُ[2]

وظف الشاعر في هذه الأبيات القافية المطلقة القائمة على الروي المضموم، كما نلاحظ توظيف أبي فراس للروي المضموم بصورة كبيرة،وعندما نتأمل القافية المطلقة على الروي المكسور نلاحظ أنه يحتل المرتبة الثانية بعد الروي المضموم، ومن أمثلة ذلك :

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهّدِ لَدَيّ، وَللنّوْمِ القَلِيلِ المُشَرّدِ[3]

ويتجلى الانكسار النابع من القافية المطلقة ذات الروي المكسور، معبرا عما يجيش في صدره من مرارة الأسر، داعيا ابن عمه بالمفاداة واصفا حالة سهده وتعبه وانكساره وعجزه ..، معبرا عن حاله بقافيه الدال المكسورة التي توحي بمدى الانكسار الذي عاشه الشاعر .

أما قافية الروي المفتوح فهي قليلة في شعر أبي فراس، وعلى الرغم من قلتهااستخدمها الشاعر في الفخر والاعتزاز بنفسه، وتذكر أيامه السابقة والحنين لها إذ يقول :

تلك المنازل والملا عب لا أراها الله محلا

أوطنتها ،زمن الصبا؛ وجعلت"منبج "لي محلا

---

[1] موسيقى الشعر، ص245.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان ، ص103.

[3] المصدر السابق ، ص78.

حيث التفت رأيت ما ءً سابحاً، وسكنت ظلا (1).

ب– القافية المقيدة :

وهي" ما كانت ساكنة الروي، سواء أكانت مردفة، كما في الكلمات:"زمانْ، حنانْ ، مجد الخالدينْ " أم كانت خالية من الردف، كما في كلمات: حسن، وطنْ محنْ، بسكون النون " (2).

والقافية المقيدة قليلة في ديوان أبي فراس الحمداني مقارنة بالقافية المطلقة، حيث جاءت عليها ثلاث قصائد وعشرون مقطوعة فقط، وقد أثارت هذه القافية المقيدة موسيقى صاخبة للاحتجاج والثورة والدلالة على التأزم فمن "أمثلة القافية المقيدة قول الشاعر :

الشّعرُ دِيوانُ العَرَبْ، أبداً، وعنوانُ النسبْ

لَمْ أعْدُ فِيهِ مَفَاخِري ومديحَ آبائي النجبْ

ومـقطـعاتٍ ربمـا حَلّيْتُ مِنْهُنّ الكُتُبْ

لافي المديحِ ولاالهجا ءِ وَلاالمُجُونِ وَلااللّعِبْ(3)

فالشعر مكانة مميزة عند أبي فراس، فنراه يفتخر به؛ لأنه عنوان للأدب وديوان للعرب، والقافية المقيدة في شعر أبي فراس على الرغم من قلتها إلا أنها ذات إحساس هادئ على الرغم من اختلاف صور الانتصار والانكسار، يقول في موضع آخر :

أَسَيْفُ الهُدَى،وَقَرِيعَ العَرَبْ علامَ الجفاءُ وفيمَ الغضبْ ؟

(1) ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان، ص327.

(2) علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، ص164-165.

(3) ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص10

وَمَا بَالُ كُتْبِكَ قد أصْبَحَتْ تنكبني معَ هذي النكبْ

وَأنْتَ الكَرِيمُ،وَأنْتَ الحَلِيمُ، وأنْتَ العَطُوفُ،وأنْتَ الحَدِبْ

و مازلتَ تسبقني بالجميلِ وتنزلني بالجنابِ الخصبْ

وَتَدْفَعُ عَن حَوْزَتِيّ الخُطُوبَ، وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيّ الكُرَبْ[1]

ومن هنا نلاحظ أن أبا فراس نوع قوافيه بين القافية المطلقة والمقيدة، كما أن القافية المطلقة أكثر ظهورا من المقيدة؛ إذ تشكل أغلب صور الانتصار التي نظمها على روي (الراء)، ويشكل روي(الباء) صور الانكسار وهذا على الأغلب، ونلاحظ في أبيات القافية المقيدة أنها قليلة وضئيلة مقارنة بالقافية المطلقة، وجاءت في ثلاث قصائد فقط وعشرين مقطوعة، كما أن أشهر حروف القافية المقيدة صاحبة الروي الساكن (الباء) ،(الراء)، (الميم) ،لكن على الرغم من قلتها إلا أنَّ لها إحساس الهدوء والسكون رغم ظروفه وحالته النفسية من فخر وألم وعتاب، كما أن القافية المقيدة تعبر عن الألم والقيد الذي طال أبا فراس وتأخر فداء سيف الدولة له، فيعاتب الشاعر ابن عمه بقافية ختمها بسكون، سكون حاله في الأسر وانتظار الفداء.

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، ت: سامي الدهان ، ص26

ب–الموسيقى الداخلية :

الموسيقى الداخلية هي التي تميز أسلوب شاعر عن آخر، وتجعلنا نشعر بما يحرك المشاعر والأحاسيس، وهي التي" تصدر عن قدرة الشاعر على اختيار الكلمات المناسبة والنظام الذي تتعاقب عليه مع تلاؤم حروفها وحركاتها" [1].

كما أنّ للموسيقى الداخلية أهمية تمنحها المتلقي بسماع تلك الألحان التي يصدرها الشاعر"فالشاعر إذن ينظم ليستمتع هو بفنه وليمتع الآخرين بالجيد منه"[2]، وتعد الموسيقى الداخلية صورة تعكس انفعالات الشاعر النفسية، وهكذا ينشأ الإيقاع الداخلي، ذلك الإيقاع الخفي الذي نشعر بوجوده من خلال ما يحركه فينا من مشاعر وأحاسيس، ولكننا لا نستطيع أن ندركه أو نحدده إلا من خلال إنسجام النغم عن طريق عدة مصادر من أهمها استخدام المد، أو استخدام الحروف المجهورة أحياناً و المهموسة أحياناً أخرى، التكرار، والجناس، ورد العجز على الصدر، وغير ذلك من عناصر الانسجام النغمي التي تشكل الموسيقى.

عناصر تشكيل الموسيقى الداخلية :

تنشأ موسيقى الشعر الداخلية التي تحرك فينا مشاعر وأحاسيس من خلال انسجام وتآلف عدة عناصر تشكل تلك الموسيقى، واستطاع الشاعر أن يجلب تلك العناصر دون أن تكون عبئاً على قصائده، فاجتمع له جمال المعنى والنغم الذي أضافته تلك المستويات على موسيقى قصائده، فاتضحت قدرة الشاعر على الإفادة من تلك العناصر دون تصنع، فتميزت قصائده بأنها تحدث للسامع لذة عند سماعها مع أداء المعنى الذي قصده أبو فراس الحمداني .

---

[1] أبو فراس في روملياته، دخالد الحليبي، ص183.

[2] موسيقى الشعر، ص16

أولاً: التكرار :

يمثل التكرار أبرز العناصر التي تميز الموسيقى الداخلية، وهذا ما دفع أبا فراس إلى توظيف ذلك العنصر الشعري، فالشاعر لا يستطيع أن يعبر عن الفكرة الواحدة بلفظة واحدة؛ لما لهذه الفكرة من وزن وعمق، ولذلك فإن التعبير عنها يتطلب التكرار، و التكرار من أهم العناصر التي شكلت الموسيقى الداخلية،"كما يلجأ إليها الأديب لتقوية معانيه والتأكيد عليها "[1].

" وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولا يحب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب إن كان في تغزل أو نسيب"[2].

ولأن " التكرير أو التماثل الصوتي أمر لازم في لغة البشر"[3]؛ فقد أفاد الشاعر من التكرار وأحسن استعماله للتعبير عن خلجات نفسه وحاجاته؛ ولأن " المعاني من ناحية أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات، أو الدلالات المجازية والرمزية ؛ لاستيفاء المعاني، كما أنها – من ناحية أخرى– بتكرره في الحديث الواحد عند قصد التأكيد، وعند وقوع الشركة في الموصوف، أو الصفة متى أريد النص، واستقلال الأفراد دون تثنية أو جمع "[4].

يتضح مما سبق أن التكرار يكون في اللفظ وفي المعنى، وأن التكرار ليس زيادة لفظيه يلجأ إليها الشاعر، ولكن التكرار يأتي من بواعث شعورية ونفسية،كما أن له قيمة لفظية ومعنوية.

---

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، ص ٤٩٥.

(2) العمدة: لابن رشيق القيرواني، ٢/ص٦٨٣.

(3) التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد ، ص7.

(4) المصدر السابق ،ص7.

و" التكرار، في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة، يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامناً في كل تكرار يخطر على البال فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها"(1).

وقد أثرى أبو فراس الحمداني شعره بأنواع التكرار المفيد الذي نطق بالمعاني الشعورية والنفسية، وشعر أبي فراس الحمداني نموذجٌ لجمالية التكرار، وسأقف مع أهم أنواع التكرار الواردة في شعر أبي فراس الحمداني في بعض من صور الانتصار والانكسار :

تكررت حروف كثيرة في قصائد أبي فراس، سواء أكانت في صور الانتصار أمْ الانكسار، فمن أمثلة تكرار الحرف قول الشاعر :

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ و أنتَ عليَّ والأيامُ إلبُ
وَعَيْشُ العالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ، وعيشي وحدهُ بفناكَ صعبُ
وَأنتَ–وَأنْتَ دافعُ كُلّ خَطْبٍ–، معَ الخطبِ الملمّ عليَّ صعبُ (2).

إن تكرار أبي فراس الحمداني لبعض الحروف والألفاظ قد يكون نابعاً من الإحساس بالأسى، والمتأمل للقصيدة يلاحظ تركيز الشاعر على حرف الباء، وهو الأكثر حضوراً،والباء صوت انفجاري،أي: عند النطق يحدث دوي انفجار في الصوت ولاسيما اختيار أبي فراس لهذا الحرف جاء معبرا منسجماً ومتناسباً مع الحالة النفسية التي عاشها وطغيان مشاعر عتابه لابن عمه ، وانفجار الشاعر في أبياته تجاه ابن عمه (غضبٌ،عتبُ، إلبُ،صعبُ،خَطْبٍ) وتكراره لحرف الباء يتناسب مع ما تحمله الأبيات من عتاب وإن لم يكن أبو فراس يرفع صوته في عتابه فإن حرف الباء يعبر عما يختلج في نفسه من معانٍ،كما أن تكرار كلمة (وَأنتَ) و(خَطْب) أرى أن الشاعر كررهما ليثبت الحكم على ابن عمه، فقال:" أنت " الأولى والثانية، وتكراره

(1) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، ص 242.

(2) ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان، ص28.

لخطب يوحي بمدى الألم وعظم الخطب على الشاعر بعتابه لابن عمه الذي كان في موقف يقتضي غير ذلك،كما تبرز في هذه القصيدة جماليات ذات قيمة موسيقية على الرغم من أن شعره لا يقصد فيه الزينة .

وفي مواضع أخرى من التكرار يتضح كثرة تكرار الشاعر لحروف المد (الألف) و(الواو) و (الياء)، خاصة في صور الانكسار، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ: أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟

معاذَ الهوى!ماذقتِ طارقةَ النوى، وَلا خَطَرَتْ مِنكِ الهُمُومُ ببالِ!

أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ على غصنٍ نائيّ المسافةِ عالِ ؟

أيا جارتا،ما أنصفَ الدهرُ بيننا! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالِي![1]

ركز الشاعر في أبياته السابقة على حروف المد، ولو تأملنا البيت الأول وجدنا فيه ثمانية حرف مد، أربعة في الشطر الأول، وهي: (أقول،ناحت، بقربي، حمامة)، وأربعة في الشطر الثاني وهي: (أيا، جارتا، تشعرين، حالي) ، وجاء توظيف الشاعر لهذه الحروف؛ ليعبر عن مدى حزنه وحسرته بسبب أسره، كما يعبر بحروف المد عن نفسيته الثقيلة من أجل أنْ يشعر القارئ بوضعه ،و أن تكراراها يجمع بين حزنه وألمه الذي يتطلب منه التنفيس، فتؤديها حروف المد، ونلاحظ أن الشاعر عندما يعبر عن حالته الانفعالية يلجأ إلى تكرار الحرف لما له من أهمية وقيمة شعرية في تشكيل الموسيقى الداخلية .

وكذلك يكرر الشاعر صيغة بعينها في أبياته مما يكسب شعره موسيقى عذبة كقوله :

وإني لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ معودةٍ أنْ لا يخلَّ بها النصرُ

و إني لنزالٌ بكلِّ مخوفةٍ كثيرٌ إلى نزالها النظرُ الشزرُ

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص325.

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ

وَلا أُصْبِحُ الحَيَّ الخَلُوفَ بِغَارَةٍ، وَلا الجَيشَ مَا لَمْ تأتِهِ قَبليَ النُّذْرُ[1]

وهكذا كرر الشاعر صيغة المبالغة في (جرار،ونزال)على صيغة (فعّال)؛ ليؤكد أنه الفارس المغوار القائد للحروب، وساعد استخدامه لصيغ المبالغة ليؤكد ويقوي المعنى مما اكسب أبياته موسيقى تنسجم مع المتلقي مستمتعاً بها .

ومن فخر الشاعر بنفسه نجده يكرر كلمة (مثلي)كثيراً في قصائده مما يؤكد على اعتزازه الكبير بنفسه، وكأنه لا يرى مثله أحد فهو الفارس الشجاع، يقول مكرراً لفظة (مثلي) :

مَتى تُخلِفُ الأيّامُ مِثلي لكُمْ فَتىً طَوِيلَ نِجَادِ السَّيفِ رَحْبَ المُقَلَّدِ؟

مَتى تَلِدُ الأيّامُ مِثْلي لَكُمْ فَتىً شَدِيداً عَلى البأساءِ غَيرَ مُلَهَّدِ؟[2]

ويكرر أبو فراس صيغة النداء (يا)، والنداء أحد هذه الأساليب التي نجدها تعبر بجلاء عما كان يضطرب في نفس أبي فراس من لواعج الأسى والفراق، وقد أكثر منها بل كررها كثيرا خاصة في الفخر والرثاء في قصيدة (يا حسرة ما أكاد أحملها) قائلاً :

ياواسِعَ الدارِ كَيفَ توسِعُها؟ وَنَحنُ في صَخرَةٍ نُزَلزِلُها !

ياناعِمَ الثَوبِ كَيفَ تُبدِلُهُ ؟ ثِيابُنا الصوفُ مانُبَدِّلُها !

ياراكِبَ الخَيلِ ! لَو بَصُرتَ بِنا نَحمِلُ أَقيادَنا وَنَنقُلُها ![3]

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص.212

[2] المصدر السابق، ص 79 .

[3] السابق، ص333

يكرر الشاعر ياء النداء في الأبيات السابقة حاملة معنى التوجع والإنكار؛ ليلفت انتباه سيف الدولة وإبراز معاناته في أسره،مجسداً حاله في المقابلة بين حال الأسير (أبو فراس) وحال الحر الطليق (سيف الدولة)، موضحاً الفرق الكبير بينهما، وإنه ينادي بأعلى صوته ليثير الاهتمام، ويلفت نظر كل من يسمعه، فيسمع إليه ويشاركه أحزانه وآهاته.

نلاحظ مما سبق لجوء الشاعر في التعبير عن حالته وانفعالاته إلى التكرار لما له من قيمة شعرية ودور هام في تشكيل الموسيقى الداخلية لقصائده وإعطائها بعداً جمالياً ودلالياً .

ثانياً: المحسنات البديعية :

"كان شعر أبي فراس طبيعياً لا يقصد فيه إلى الزينة قصداً يضحي من أجلها بوضوح الفكرة، أو جلاء المعنى، ومن أجل هذا لا تحس بتكلف فيما يأتي به من صناعة لفظية تعرض له،ولاتكاد تتبين هذه الصناعةإلا إذا وقفت تتلمسها تلمساً "[1] .

فجاءت المحسنات البديعية في شعر أبي فراس من غير قصد ودون غلو و مغلاة،مما أضفى على شعره القوة ووضوح المعنى وجماله، ولسوف أحاول أن التمس أبرز المحسنات البديعية ظهوراً عند أبي فراس الحمداني، ومنها :

الطباق :

" ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، وبالتطابق وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد، في وقت واحد، بحيث يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل؛ تقابل تضاد أو الإيجاب والسلب، أو التضايف "[2].

---

[1] شاعر بني حمدان، ص88.

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي،دار إحياء التراث العربي،لبنان- بيروت: ط 3، ص 366.

وما أجمل طباق أبي فراس في أبياته التي يقول فيها –وهي على سبيل المثال لا الحصر– :

فَأَظمأُ حتى تَرْتَوي البِيضُ وَالقَنَا وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ [1]

طابق الشاعر بين (أظمأ) و (وترتوي) وبين (أسغب) و(يشبع)، فيقول أنه فارس لا يرتوي إلا بارتواء أدواته، كما أنه يجوع حتى تشبع الحيوانات من أجساد أعدائه .

وفي موضع آخر يفخر بشجاعته ومواجهة أعدائه قائلاً:

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ، أما للهوى نَهيٌ عليكَ ولا أمرُ ؟[2]

وفي نفس قصيدته الرائية يقول :

وقالَ أصيحابي: " الفرارُ أوالردى ؟ " فقُلتُ: هُمَا أمرَانِ، أحلاهُما مُرّ[3]

طابق أبو فراس بين (نهي) و(أمر) وبين (أحلا)و (أمر)ليبين لأصحابه أنه مستعد أن يدافع عن نفسه وقبيلته معبرا عن شجاعتهم ،ولو كان ذلك على حساب نفسه وجعل عيشه مراً .

" ويبدو الطباق في شعر أبي فراس بسيطاً واضحاً ، ولم يقع فيما وقع فيه الشعراء الذين كانت الصنعة غاية من غايات شعرهم، ولعلنا نستطيع القول: إن هذا الطباق البسيط يرتبط بأبي فراس في ثقافته العربية الخالصة البعيدة عن التعقيد أو التناقض أو ما إلى ذلك"[4].

---

[1] ديوان أبو فراس الحمداني،ت: سامي الدهان ، ص212.

[2] المصدر السابق، ص209.

[3] السابق، ص213.

[4] أبو فراس الحمداني، حياته وشعره،ص ٣٧٤.

المقابلة :

هي" أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب"[1]، وقدجاءت المقابلة في شعر أبي فراس غير متكلفة، بل خرجت لتعبر عن معنى جاءت لأجله عفوية من غير قصد لتزيد الأبيات جمالاً، كما وظف أبو فراس في صور الانتصار والانكسار المقابلة للتعبير عن فخره بقومه واعتزازه إذ يقول :

أصاغرنا ، في المكرماتِ ، أكابرٌ أوَاخِرُنَا، في المَأثُرَاتِ، أوَائِلُ [2]

الجناس :

وهو(تشابه (الكلمتين) في اللفظ) [3]، وقد وضع عبد القاهر الجرجاني الشرط الذي يكون به التجنيس له وقع حسن على نفس السامع، ويكون بدون تكلف أو قصد، يقول :"أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى ما اجتلابه، وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة " [4] ،وتميز شعر أبي فراس بعفوية وحسن الوقع، يقول :

مَن كانَ مِثلي لَم يَبِت إلّا أَسيراً أَو أَميرا

لَيسَت تَحُلُّ سَراتُنا إلّا الصُدورَ أَوِ القُبورا[5]

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة ، ص292.

[2] ديوان أبو فراس الحمداني ت:سامي الدهان ، ص293.

[3] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص323.

[4] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص15.

[5] ديوان أبو فراس الحمداني، ت:سامي الدهان، ص209.

الجناس هنا قائم بين، (الأسير) و (الأمير)وبين (الصدور) و(القبور)، وللجناس في أبيات أبي فراس نغم أثرى شعره وأكسبه بعداً جمالياً وموسيقياً .

رد العجز على الصدر :

من العناصر الداعمة للموسيقى الداخلية في شعر أبي فراس الحمداني (رد العجز على الصدر) وهو" أن يرد إعجاز الكلام عن صدوره، فيدل بعضه عن بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة ويزيده مائية وطلاوة"[1]،" وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها ...، وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو صدر الثاني "[2].

ومن أمثلته قول الشاعر :

يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبدلها [3].

إضافة الشاعر لهذا النوع في شعره؛ لأنه يؤكد المعنى ويكسبه دلاله أقوى .

ومن هنا نستطيع أن نقول:من خلال دراسة الموسيقى الداخلية في صور أبي فراس ثراء موسيقاه مما يجعل شعره مؤثراً في النفوس، كما نلاحظ من الشواهد السابقة عدم تكلف الشاعر أو تصنعه مما أكسبه تلك المكانة الشعرية، وامتاز شعر أبي فراس بموسيقية مميزة، واستطاع تلوين الموسيقى الخارجية والداخلية وتناسبها مع تلون الموضوعات والأحداث والتعبير عن حالته الشعورية في أبيات شعرية ذات أثر قوي وعميق .

---

[1] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني 2/ص3.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة ، ص ٣٢٩ ، ٣٢٨.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني، ت: سامي الدهان ، ص333.

وهكذا نلاحظ من خلال المبحث تميز موسيقى أبي فراس الحمداني رغم اختلاف الموقف في كلا الصورتين الانتصار والانكسار،كما أن " شعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظرف وعزة الملك"[1]،بالإضافة إلى أن شعره من الناحية الفنية "واضح قوي منسجم ذو ديباجة ناصعة ومعانٍ هي غالباً مزيج من الابتكار والمحاكاة، يشعر القارئ له بميل واضح، ميل إلى سماعه وميل إلى ترديده، وهذه أهم صفات الشعر الرفيع "[2].

[1] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، ص57.

[2] شاعرية أبو فراس الحمداني، ص21.

الخَاتِمةُ

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والبريّات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،وبعد...

ففي ختام هذا البحث،في هذا الموضوع، في رحاب ديوان الشاعر المجيد أبي فراس الحمداني في كل صوره وحالاته وظروفه التي عاشها يمكن أن نلخص أهم نتائجه فيما يلي :

أولاً: فيما يختص بدراسة بعض من صور الانتصار في شعر أبي فراس الحمداني:

– إن صور الانتصار تنم عن صور من القوة وصدق الإحساس والتحدي للظروف الاجتماعية والسياسية والنفسية .

–من أبرز صور انتصار أبي فراس فخره الذي ينم عن ماضٍ مشرق له ولقبيلته .

–جاءت صور الانتصار قبل الأسر وبعده، كما أن فخره وهو في أسره يعد انتصارا وإن سيطرت علية نبرة الحزن والأسى والألم .

ثانياً : فيما يختص بدراسة بعض من صور الانكسار في شعر أبي فراس الحمداني:

–وضوح صور الانكسار وهو في أسره وليس قبل ذلك،كما أنها تنم عن إحساس الشاعر بالحزن و الألم النفسي الذي يصور نفسيته أدق تصوير .

– إن معنى الانكسار في شعر أبي فراس لم يكن معنى حقيقياً للكلمة، بل تمثل في صوره بمعنيين: الأول:بمعنى عجز الشاعر عن أشياء أراد القيام بها لكن الأسر منعه من ذلك، فعبر عن ذلك بعدة صور تصف مأساته. والثاني:إحساسه بانتصارات قديمة سيطرت عليها نبرات الحزن والألم .

– إن انكسار أبو فراس انكسار مع أمل وليس مع يأس، وذلك على الرغم من صعوبة الموقف، فإننا نجد في أشعاره التفاؤل والأمل أمام صعوبة الموقف وحسن الظن بالله .

– إن أسر أبي فراس لم يأسر لسانه ،فنطق بأجمل الأبيات وهو في أسره .

وهناك نتائج تجمع الفصلين الأول والثاني نلخصها فيما يلي :

– يمكن أن نقول إن مانظمه أبو فراس قبل أسره كان صورة للانتصار،أما مانظمه وهو في أسره فإننا نجد فيه ما يعبر عن صور الانتصار وصور الانكسار،أي: أن صور الانتصار كانت قبل الأسر وبعده، لكن صور الانكسار جاءت بعد أسره .

– استطاع أبو فراس أن يصنع من عمق الانكسار انتصارا، وإن سيطرت عليه نبرة الحزن والإحساس بالعجز والألم .

–تميز شعر الانتصار والانكسار عند أبي فراس الحمداني بالجودة والقوة، وتميَّز الشاعر بالقدرة على التعبير، فتجربته تُعد تجربة مثالية ثرية له ولشاعريته.

– إن صور الانتصار والانكسار لم تكن على وتيرة واحدة، لكنها أسهمت في التعبير عما يختلج في نفسه؛ وذلك ليجسد في كل صوره معاناته، ويشرح فيها ما يدور في نفسه.

ثالثاً: فيما يختص بدراسة عناصر الإبداع الفني ، فإنها قد تميزت بما يأتي:

–تنوع وتعاقب حال الشاعر بين انتصار وانكسار ساعده على إبداع عناصر فنية تميز بها،وقد جاء التشبيه، والتشخيص في مقدمتها .

–تأثر الشاعر في لغته الشعرية بالقدماء من خلال معجمه الشعري، فكان للغته صلة بحالته كما كان لها أثر في النص، وفي تأثيره على المتلقي.

–التلوين الموسيقي الواسع الموفق تعبير عن تلون حاله وظروفه وتجاربه، سواء أكان ذلك في الموسيقى الخارجية، أم في الموسيقى الداخلية، وهذا يؤكد قوة شاعرية أبي فراس في عصره وبعده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

فهرس المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي، (د.ط)،القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982م.
- أبو فراس الحمداني حياته وشعره، عبد الجليل حسن عبد المهدي،(د.ط)، الأردن – عمان : مكتبة الأقصى،جمعية عمال المطابع التعاونية، 1401هـ- 1981م.
- أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان، د.محمد حمود، ط1، لبنان –بيروت : دار الفكر اللبناني، 1994م.
- أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية، د.عبد المجيد الحر، ط1، لبنان –بيروت : دار الفكر العربي، 1996م.
- أبو فراس الحمداني فتوة رومانسية، خليل شرف الدين ،(د.ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
- أبو فراس الحمداني في روملياته، د.خالد الحليبي، ط1 ،المملكة العربية السعودية: إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1428هـ -2007م.
- أبو فراس الحمداني، أحمد أبو حاقة، ط1، بيروت : دار الشرق الجديد، 1960م.
- أبو فراس الشاعر الأسير، محمد رجب البيومي، ط1، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية 2001م.
- أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم ،للدكتور عمر فروخ، ط1،بيروت: مكتبة منيمته للطباعة والنشر، 1373هـ- 1954م.
- الأدب العربي " تاريخ ونصوص " العصر العباسي ، بطرس البستاني، مصر : دار الأفاق، (د.ط)، (د.ت).

- أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، طبعة جديدة، بيروت :دار نظير عبود ،1979م.
- استدعاء الرمز المكاني في الشعر العربي القديم، أبو القاسم رشوان، ط1، مكتبة الآداب، جامعة القاهرة،1995م.
- الأسر والسجن في شعر العرب، د .أحمد مختار البرزه، ط1، دمشق: مؤسسة علوم القران، 1405هـ -1985م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط1، القاهرة: دار المدني، ١٤١٢هـ -١٩٩١م .
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د.مصطفى سويف، ط4، القاهرة : دار المعارف،(د.ت).
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط10،القاهرة : 1944م.
- الأعلام -قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمتعربين، خير الدين زركلي، ط5، بيروت:دار العلم للملايين، 1980م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط2، القاهرة:مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - 2003 م .
- تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية)، عمر فروخ، ط6، لبنا ن-بيروت : دار العلم للملايين، 1997م.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (د.ط)، بيروت: دار صادر، ١٣٧٩ هـ-1960م.
- التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، د.عدنان حسين قاسم ،(د.ط)، القاهرة : الدار العربية للنشر، 1421هـ -2000م.

- التكرير بين المثير والتأثير، د عز الدين علي السيد ،ط1، بيروت : عالم الكتب، 1398هـ-1978م.
- تهذيب الأخلاق، لأبي عثمان عمر بن بحر للجاحظ، تحقيق ومراجعة قسم التحقيق بالدار،ط1، القاهرة: دار الصحابة للتراث، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ،(د.ط)، بيروت :دار الجيل ،(د.ت).
- جماليات الأسلوب " الصورة الفنية في الأدب العربي " فايز الداية ،ط2،دمشق : دار الفكر ،1996م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح: د. محمد التونجي ، ط3، لبنان- بيروت: مؤسسة المعارف، 2006م.
- الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ ، ط1، لبنان -بيروت : المركز الثقافي العربي ،1997م.
- دراسات في النص الشعري في العصر العباسي، د. عبده بدوي ،ط2، الرياض : دار الرفاعي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، ط2، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1414هـ -1994م .
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح عبد الرحمن المصطاوي، ط3، بيروت: دار المعرفة، 1427هـ -2006م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ط5، لبنان -بيروت : دار الكتب العلمية، 2003م .
- ديوان أبي فراس الحمداني، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه سامي الدهان، (د.ط)، بيروت: مكتبة الدكتور مروان العطية،1363هـ-1944م .

- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح محمد حسين،(د.ط)،الإسكندرية :(د.ن)،1950م.
- شاعر بني حمدان، أحمد أحمد بدوي، ط2، القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية،١٩٥٢م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العمار الحنبلي، ط2، بيروت:دار المسيرة،(د.ت).
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، عباس إبراهيم ط1، بيروت: دار الفكر العربي، 1994م.
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف الخطيب التبريزي، أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الشيباني،كتب حواشيه، غريد الشيخ، وضع فهارسة العامة ، أحمد شمس الدين، ط1، بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية، 1421هـ- 2000م.
- شعر أبي فراس الحمداني (دراسة فنيه)،تأليف ماجدو لين وجيه بسيسو، ط1، الرياض:1409هـ- 1988م.
- شعر أبي فراس الحمداني دلالاته وخصائصه الفنية، د. عبد اللطيف عمران، ط ١، دمشق: دار الينابيع ،(د.ت).
- الشعر العباسي " قضايا وظواهر "، عبد الفتاح صالح نافع، ط1، عمان – الأردن : دار جرير للنشر والتوزيع ، 2008م .
- الشعر ٱلعربي ٱلمعاصر "قضاياه وَظواهرَه ٱلفنية وَٱلمعنوية"، عز الدين إسماعيل، ط 3، القاهرة : دار الفكر العربي، 1966 م .

- شعر جهاد الروم حتى نهاية القرن الرابع الهجري في موازين النقد الأدبي، د.عبدالله بن صالح العريني، ط1، الرياض : جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، 1423هـ - 2002م .
- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، سعود محمد عبد الجبار ،(د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981م.
- شعراء فرسان تحت راية الإسلام (تاريخ وظواهر فنيه)،علي أحمد علام ط1،الإسكندرية: دار الوفاء، 2001م.
- الصورة الأدبية في القران، د.صلاح الدين عبد التواب، (د.ط)، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995م.
- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، تأليف الولي محمد، ط1 ، 1990م .
- الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، د.ساسين سيمون عساف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت: 1982م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، جابر عصفور، (د.ط)، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر ،١٩٧٤ م.
- الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، ط1 ، الشركة العربية للنشر، 1416 هـ - 1996م .
- الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، زكية خليفة مسعود،(د.ط)، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس،1999م.
- الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، د.أنور عليان ،(د.ط)، دار العلوم للنشر، 1403هـ-1983م .
- عصر أبي فراس الحمداني، يوسف بكار، (د.ط)، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000م.

- علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، (د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية،١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
- علم العروض والقافية، د.عبد العزيز عتيق ،(د.ط)، بيروت :دار النهضة العربية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5،بيروت :دار الجيل،1401هـ –1981م .
- عن بًناء اًلقصيدة العربية اًلحديثة، علي عشري زايد، ط 4، القاهرة: مكتبة ابن سينا، 1423هـ.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لشوقي ضيف، ط 9، مصر : دار المعارف، 1976م.
- فنون الأدب العربي الفن الغنائي (الفخر والحماسة) ،حنا الفاخوري، ط5، القاهرة :دار المعارف، 1119م.
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانين، د.مصطفى الشكعه، ط2 ، بيروت: عالم الكتب، 1981م .
- في الشعر العباسي، فوزي عيسى ،(د.ط)، القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، 2008م.
- في علمي العروض والقافية، أمين علي السيد ، ط5،القاهرة : دار المعارف ، 1999م.
- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المكتبة التجارية، مصر، 1355م.
- كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٧١ م.
- كتاب سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي،خرج أحاديثه : عز الدين ضلي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1423هـ–2011م.

- لسان العرب، لابن منظور،(د.ط)، القاهرة:دار المعارف، 1119م .
- لغة الشعر العربي، د.عدنان حسين قاسم، ط1 ،القاهرة : الدار العربية للنشر، مدينه نصر، 2006م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، ط 4، مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩١ م.
- معجم البلدان، للشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (د.ط)، بيروت: دار صادر،1397هـ-1977م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ،(د.ط)، مكتبة المتنبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (د.ط)، دار الفكر ،1399هـ -1979 م .
- المفضليا ت، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، ط6، القاهرة: دار المعارف ، 1964م.
- مفهوم الصدق في النقد القديم، حمود محمد الصميلي، ط1، إصدارات نادي جازان، 1422هـ-2001م .
- مقدمة العلامة ابن خلدون عبد الرحمن ابن خلدون، ط4،بيروت: دار الكتب العلمية، 1398هـ-1978م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني،تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، (د.ط)، تونس:دار الكتب الشرقية، 1966م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق أحمد صقر ، (د.ط)، القاهرة : دار المعارف، 1961م.
- الموازنة بين الشعراء، د.زكي مبارك ، ط1،بيروت :دار الجبل، 1413هـ -1993م.

- موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م.
- نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د.داؤد سلوم،د.عمر الملاحويش، (د.ط)، بغداد: مطبعة الأمة، 1997 م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ط6، القاهرة: نهضة مصر، 2005م.
- النقد التطبيقي والموازنات، د محمد الصادق عفيفي،(د.ط)، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1398هـ-1978م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان تحقيق د . إحسان عباس،بيروت لبنان :1397هـ - 1977م .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري،شرح وتحقيق مفيد محمد قميحه، ط1، لبنان -بيروت : دار الكتب العلمية ، 1403هـ - 1983م.

الرسائل الجامعية :

- أثر الاغتراب في شعر أبي فراس الحمداني(مظاهره وسماته الفنية)، إعداد الجوهرة عبدالعزيز عبدالكريم المعيوف، جامعة الملك سعود، (د.ط)، 1419هـ-1998م.
- تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد، إعداد عمر عبد الله عامر عبد الله ، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية،فلسطين -نابلس : 1425هـ-2004م .
- دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني،نهيل فتحي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1999م.
- الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني، نوال براك الثمالي ،رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة :1430هـ.

- شعر الروميات لأبي فراس الحمداني (دراسة أسلوبية)،عايدة سعدي، رسالة ماجستير في الأدب القديم ونقده، جامعة منتوري قسنطينه، الجزائر: 1430هـ -2009م.
- الصورة البيانية في شعر أبي فراس الحمداني، محمد منصور علي حبتور، رسالة دكتوراه، الخرطوم: 2013م.
- صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني (دراسة موضوعية وفنية) بحث ماجستير في الأدب والنقد،محمد بن يحيى بن مفرح المعجم،جامعة أم القرى، 1429هـ.
- الفروسية في الشعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ (دراسة موازنة)، رسالة ماجستير في الأدب والبلاغة والنقد، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

المجلات :

- التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، إربد، الأردن: المجلد: 15 ، العدد:1997،1م.
- علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا- بنغازي ،1995.
- موضوعات الصورة الشعرية في شعر طرفه بن العبد ومصادرها، د. إسماعيل أحمد العالم، مجلة جامعة دمشق ، مج 18، عدد2 ، 2002م .

Abstract

Victory and refraction

In the poetry of Abu Firas al-Hamdani

Submitted by KHULUD ABDULAZIZ AL -SUBAIHI Email: k-mast@hotmail.com

The purpose of the research is to Picture victory and refraction in the poetry of Abu Firas al-Hamdani, to reveal theobjectiveimages and the technical characteristics.

It was clear through research,the diversity of images of victory and refraction at Abu Firas al-Hamdani poems, varied Photos of victory ex: (Pride of tribe and equestrian), and (Multiple victories and the large number of proceedings of wars), as well as the diversity of images of refraction such as: (Admonition poems to his cousin the State leader), (The old poem letters to his mother), and (The poet's former glory).

The poet has been able to portray the victory and refraction in his poems deservedly, despite the fact that the two images were not on one frequency, the poet came to embody Photos of victory,such as expressing pride in several ways.As well as the incarnation of the images of refraction and suffering and expressed himself in several ways.

As for the elements of artistic creativity that characterizes the poet in his poems, the poems were easy as well as the emotional gestures, with varying terms because of the contrast between the images of victory and refraction, but we find the richness and strength in both images, with the control of the tone of sadness over the pictures of refraction.

As the poet relied on the poetic images to express the experience in his victory and refraction, leaning on the most important means of forming poetic images: simile, diagnosis Add to that those images provide us with poems that reflects the ability to express his experience, as evidenced through research. Excellent poems were provided by Abu Firas al-Hamdani which show his ability to code pictures and events in his poems, which indicates that the verses of the poet came with a strong and influential impact in the soul.

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Taibah University
Faculty of Arts and Humanities
Arabic Language Department

Victory and refraction

in the poetry of Abu Firas al-Hamdani

A dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the

Requirements for Master Degree in

Arabic Language in the Field of literature

Submitted by

KHULUD ABDULAZIZ AL -SUBAIHI

Supervision by

Dr. Ebraheem. Sa'ad. gendiel
Associate Professor literature

College of Arts & Humanities

1436 AH – 2015 AD